

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المكتبة
الثقافية
العدد ٢٥٣

عبد الرحمن منكري

١٨٨٦-١٩٥٨

نظرات في شعره

بقلم
الدكتور أنس داود



للمكتبة الثقافية

(جامعة حدة)

٢٥٣

عبد الرحمن بكري

١٩٥٨-١٨٨٦

نظرات في شعره

بقلم
الدكتور أنس داود

الهيئة المصرية العامة للكتاب والنشر
١٩٧٠ - رقم ١١٥٠

الإهداء

الى روح الفقيد الفألى
الاستاذ الأديب

محمد مصطفى عطا

شرف كلمة ، ونبل احساس ، وكبرياء خلق ؟

أنس داود

مقدمة

عاش حياة اليمة ، ولكنها مجيدة ، لم يحن رأسه
لأحد ، ولم يقل كلمة زلفى لحاكم أو أمير ..

وظل شرف الكلمة ، وقداسة الفكر ، ونقاء الشاعر؛
ورحلته عبر عوالم المطلق ، أسمى ما يطمح اليه ، وما يكرس
له جهده اليومي .. ثم مضى فى صمت ، كما يمضى
القديسون والشهداء ..

وترك لنا ديوانا ضخما ، ومجموعة ثرية من الاعترافات
النفسية ، والنظرات الصائبة فى النقد وفى الحياة .

وما زال مجهولا بين بنى وطنه ..

وهذه الصفحات .. صدى عكوف على شعره ،
ومحاولة للسياحة فى عالمه الحصب الرحيب .. وربما كان
العكوف أقل مدى مما كان شعر هذا الشاعر العظيم فى
حاجة اليه .. غير أنه بداية لقاء معه ..

ولتكن هذه الصفحة أولى تحاياها لهذا الروح الذى
عاش فى طهارة الملائكة ، وفى نبالة الشهداء .

قضية هذا الشاعر

١٨٨٦ - ١٩٥٨

الشاعر :

ينتمي عبد الرحمن شكرى الى أصول مغربية ، غرست جذعها فى التربة المصرية ، فى غضون القرن التاسع عشر ، وذابت فروعها مع النسيج الوطنى العام ، فاتهم والده بمناصرة العراقيين ، وبصداقته لفريق منهم ، وبخاصة عبد الله النديم ، وناله قسط من الاضطهاد العام ؛ فحوكم وسجن . (١) .

وقد ولد شاعرنا فى مدينة بورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ . وتلقى تعليمه على غرار زملائه فى ذلك الحين . غير أنه وجد مكتبة حافلة بدواوين الشعراء العربى لدى والده ، فنهل منها صبيا ، الى أن التحق

(١) انظر سيرة حياته بقلم تلميذه وصديقه الاديب نقولا يوسف

فى مقدمة «ديوان عبد الرحمن شكرى» .

بمدرسة المعلمين العليا ، وقد كانت نافذة مفتوحة - آنذاك - على الآداب والعلوم الحديثة . فتكون شاعرنا فى حضن الآداب الانجليزية ، ووجد صلة قريبي بينه وبين شعراء المدرسة الرومانتيكية ، وما كان يعاينه بيرون وشلى وكيتس ووردزورث وكولردج من تطلع الى عوالم الحرية والجمال ، ومن رفض للقيم المتوارثة، والمواضعات الاجتماعية الزائفة، ومن ولسوج الى عالمهم النفسى المغلق ، يتأملون ذواتهم ، ويتغنون بالآلم الانسانى الخلاق . . ويعانون - فيما يرون - محنة التفرد والامتياز .

وكان قد وجد طريقه الى شعرائه الأثيرين من تراثنا الشعرى ، فالتفت بخاصة الى ابن الرومى وأبى العلاء ، لما ينزع اليه الشعاران من شكوك فكرية، ومن قلق اجتماعي، ومن سيطرة لأوهام التشاؤم ، وهواجس انظنة عند ابن الرومى ، وشك فى طبيعة الانسان وجدوى حياته عند أبى العلاء ، وما كان شاعرنا يجد فى نفسه من هذه النوازع والهواجس .

ويقودنا هذا الطريق الاستقرائى الى ملمحين أساسيين من ملامح شاعرنا . . حيث ينشر المضمون الرومانتيكى خيمته على شعره ، فيحتوى مافيه من تغن بالآلم ، ونشدان للخلاص بين أجواء الطبيعة الرحبة ، وهيام بمشاهدها ، ومعايشة لأوهام الشاعر ، وأحلام يقظاته ، واستشراف دائم للمثل العليا فى الفن والحياة ، وهجوم للمجتمع ونظمه وتقاليده وسلوك أفراده . . بينما يستمد الشاعر أسلوبه

وطرائق تعبيره من نسق أشبه ما يكون بابن الرومي ، في طول قصائده حيناً ، ومحاولة استقصائه للفكرة ، وتوليد المعنى من المعنى ، والبعد عن التركيز والتكثيف الذي نجده لدى شاعر كبير كالمتنبي والذي نجده أخص خصائص النماذج الممتازة من شعرنا المعاصر ، ومن ثم تمتد القصيدة ، وتنفس رقتها ، فتفقد وحدتها ونمائها العضوي ، وانبثاقها من تجربة شعرية عميقة ومحددة . مع أن الشاعر كان من أوائل من تنبهوا - فكرياً - الى وحدة القصيدة ، وضرورتها في الشعر الحديث ، ونعى على نظام القصيدة القديم ، ومن ينهج على منواله ، فقال في مقدمة ديوانه - الخطرات - الصادر في عام ١٩١٦ . وهو عام مبكر بالنسبة لهذه الدعوة الى حد ما :

« يعدون كل بيت وحدة تامة ، وهذا خطأ ، فإن قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وبين موضوع القصيدة ، لأن البيت جزء مكمل ، ولا يصح أن يكون البيت شذوذاً خارجاً عن مكانه من القصيدة ، بعيداً عن موضوعها . . . فينبغي أن ننظر الى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل ، ومثل الشاعر الذي لا يعنى باعطاء وحدة القصيدة حقها مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيباً واحداً »

(١) ٣٦٦ ٧

(١) ارقام الصفحات بالنسبة لديوانه الحامم الذي طبع على نفقة الاستاذ عبد العزيز مخيون ، وحاول فيه الاستاذ ثقولا يوسف ان يضم كل ما وصل اليه من شعر عبد الرحمن شكرى .

ولعلنا ما زلنا نذكر كيف أنكر معاصرو ابن الرومي عليه شاعريته ، ولم يسلكه كثير من الدارسين القدامى مع كبار شعراء العربية ، وضمنوا عليه أن يكون على قدم وساق مع أبي تمام والبحتري والمتنبي وأضرابهم . (١)

ومثل هذا الحيف ليس بمستبعد أن يلقاه شاعرنا من قرائه ودارسيه .

بين معاصريه :

ولقد كانت صورته محيرة في نظر معاصريه . .

فهو في نظر المازني لا أسلوب له بل مقلدا لجميع ما يقرؤه ، وليس لمضمون شعره قيمة ، فإن الخيال - كما يقول المازني - يجب أن يطير بجناحين من الحقيقة ، وإن كل كلام ليس مصدره صحة الإدراك ، وصدق النظر في استشفاف العلاقات ، لا يكون إلا هراء لا محل له في الأدب ، ومتى كانت حمى الحواس ، وهذيان العواطف ، وضعف الروح ، تعيش في عالم الشعر .

وهو فيما يرى الدكتور رمزي مفتاح - أحد شعراء أبولو ونقادها - شاعر عظيم الموهبة . . تأثر العقاد بشعره

(١) يقول أستاذنا العقاد على طريقته الجدلية المعروفة في كتابه عن ابن الرومي « وكان خموله أظلم خمول يصاب به الأدباء ، لأنه الخمول الذي يحفظ ذكر الأديب ، ولكنه يخفي أجمل فضائله وأكثر مزاياه » ابن الرومي - ط ٥ ص ٦ .

بل سبطا على فرائده ، وحاول احتذائه دون أن يلحق
بغيره ..

وقد بسط الدكتور رمزي مفتاح هذا الرأي في مقالات
نشرت في مجلة « أبوللو » - ابريل ١٩٣٣ ، يونيه ١٩٣٤ -
ثم أفرد لها كتابا بالعنوان « رسائل النقد » ، وفيه يرى
أن عبد الرحمن شكرى هو « الزعيم الأكبر » ، وخالق المدرسة
الحديثة في الشعر العربي « (٧)

وفيه يتتبع سرقات العقاد من شكرى ، وعلى سبيل
المثال ، يورد قول شكرى في قصيدته « يا وضيء البسمات » :

سألوا في أى حال هو أحلى في الصفات
قلت أحلى ما تراه في حديث اللحظات
فاذا أرخى لحاظا كان أحلى في السبات
وهو أحلى منه ان فاه ، وأحلى في الصمات
واذا صد فما أحلاه جهم النظرات
فاذا لان فما أحلاه طلق اللمحات
كل حال منه أشبهى حالة في الحسنات

ويرى أن العقاد قد سرق هذه الصفات على غير دراية ،
وانتهى بها الى المسخ والتشويه (٩١ وما بعدها) في قوله :

صفه غضبان وصفه لاعبا بين اللدات
ضاحكا كالصبح يحو بالضياء الظلمات

صفه فى كل كساء

صفه فى كل الجهات (١)

وقد كنت قارئاً قديماً لشعر العقاد ، وهذه القصيدة التى يشير اليها رمزى مفتاح من أجود شعره الغزلى ، فما ان تصفحت ديوان شكرى هذه الأيام حتى لاحظت هذه المشابهة بين القصيدتين .

وفى الكتاب أمثلة أخرى أوردها رمزى مفتاح غير أن ما أحاط به دعواه من هجوم شخصى على العقاد ، أو من قدرته على الاقتناع ، وترك هذه القضية - سرقة العقاد من شكرى أو تأثره به - فى حاجة الى جهد علمى جديد .

وكان رمزى مفتاح أحد الأصوات • القليلة - ان لم نقل النادرة - التى أضفت هذا التمجيد على شكرى ؛ بينما ظل نصيبه عند كثرة الدارسين لمحة عابرة هنا أو هناك ، لا توفر للقارئ معرفة قريبة من الكمال بالشاعر ، الى أن أرخ له ضمن محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقى الناقد الذواقة الدكتور محمد مندور •

(١) نسير هنا الى بيت من قصيدة العقاد هو :

ذهبى الشعر ساجى الطرف حلو اللفات

أخذه على محبوب طه فى قصيدته الشهيرة التى يتغنى بها

عبد الوهاب فجام فيها على هذا النحو :

ذهبى الشعر شرقى السمات

مرح الأعطاف حلو اللفات

فراى الدكتور مندور فى شكرى ، أنه شاعر التأمل
 النفسى أو الاستبطان الذاتى . . يرتفع أحيانا الى قمة
 الشعر بينما يهبط أحيانا أخرى الى مستوى النشر المسطح ،
 كما يتأرجح بين غزارة الرؤية الشعرية ، وبين غموض
 النفس ، والتواء العبارة ، فبعد الرحمن شكرى نفس
 قلقه . كثيرة الشكوك والهواجس ، معذبة بملكاتهما ،
 ومثل هذه الحالة النفسية لم يكن بد من أن تصيب
 شعره أحيانا كثيرة بعدم الاستواء . (١)

وأخيرا صعد بشعر شكرى فى الحب والغزل جامع
 ديوانه الأديب نقولا يوسف الى أعذب وأعظم ما فى الأدب
 العالمى بأسره . (١٣) . (٢)

وهكذا تتأرجح صورة الرجل بين التقدير والانكار
 على مفالة هنا وهناك ، بينما ينسدل عليه ستار من
 النسيان الجماعى ، فتتوالى الدراسات عن الشعراء المحدثين

(١) د . محمد مندور - الشعر المصرى بعد شوقى . ١٩٥٥
 ص ٨٢ وما بعدها ١٠

(٢) استكمالاً لآراء الدارسين ، نرى ضرورة رجوع القارئ الى
 آراء الأستاذ عمر الدسوقي والدكتور شوقي ضيف فى كتبهما عن
 الأدب الحديث ، وكان ههنا هنا أن نجمل وأن نؤمى مهدين
 لدراستنا فحسب .

والمعاصرين دون أن يذكر الرجل الالماما ، وتشير
الدراسات الى تأثير مطران أو تأثير شعراء المهجر أو شعراء
أبوللو في هذا الشاعر أو ذاك ، أو في هذا الاتجاه الشعري
أو ذاك ، بينما نفتقد تأثير شكري في أى من الشعراء
والاتجاهات التى تلتها .

فهل عدل التاريخ حين نسى هذا الشاعر ؟ وهل
أنصف شعراؤنا حينما رأوا أسلافهم فيمن ذكرنا دون أن
يخطر ببالهم تصفيح هذا الشاعر ؟
هذه هى القضية .

ديوان ضخم

دواوينه :

في مدى عشرة أعوام بين عامي ١٩٠٩ - ١٩١٩ كان
قد صدر للشاعر سبعة دواوين شعرية، هي على التوالي :

١٩٠٩	ضوء الفجر
١٩١٣	آلاء الأفكار
١٩١٥	أناشيد الصبا
١٩١٦	زهر الربيع
١٩١٦	الخطرات
١٩١٨	الأفنان
١٩١٩	أزهار الخريف

ثم استمر الشاعر بعد ذلك ، وحتى مماته ، أي
قاربة أربعين عاماً لا يحتفى بنشر ديوان له ، ولكن جامعي
ديوانه بعد وفاته ، استطاعوا أن يكملوا شتات القصائد

التي أنشأها الشاعر ، ونشرها في المجلات الأدبية على هذا المدى المتطاول ، وبذلك أتمت هذه المجموعة ديوانه الثامن ؛ وقد صدرت الدواوين الثمانية - مؤخرا - في مجلد واحد بعنوان « ديوان عبد الرحمن شكرى » في قرابة سبعمئة صفحة . ومن هنا أول مزالق الغبن لهذا الشاعر ؛ فالمرحلة طويلة ومجهدّة .

ديوانه الأول :

وتبدأ الرحلة بديوان هزيل ، يكاد ينفر القارئ من شعره ، فأسلوب الشاعر يكاد يكون نثرىا ، يتسلط عليه الفكر اليقظ ، ويصطنعه اصطناعا :

قنوع اليأس يجحدنى رجائى	وهم النفس داعية الرجاء
وقد غلبت صروف الدهر حز	مى فجالدت المصائب بالنجاء
وقد سلبت صروف الدهرمنى	كما سلب البقاء من البهاء
وقد يغنى العزاء عن التمنى	وقد يغنى الطلاب عن العزاء
أأجزع من مجالدتى الرزايا	كأنى لست فى طلب العلاه

(٦٥)

وهواجس الشاعر تطارده ، ولا تجعله قريبا من نفس القارئ ولا محبوبا ، ولا مثيرا للعطف .

من هواجسه النفسية :

فالحسد مثلا - ويكاد يكون هاجسا مرضيا - يراه
الشاعر في كل شيء ، فالزهر محسود البهاء ، والبحر ذو مهجة
موصوفة بالحسد ، والمشموق له حال حسود ووقفه محسود ،
والشاعر شقي بنفسه ، والحسود عذيرها ، وما يبالي أن
الهوى يبرئه حين يرميه حسود بالتهم ، وقد نقم عليه
الحساد أنه صابر :

فيحاء زان شبابها لون الريح الأزهر
حيث الفرائد جمّة تزهر بأروع منظر
من كل محسود البهاء مكلل ومنور
في وصف حديقة (٣٧)
كانه ذو مهجة موصوفة بالحسد
(٢٨)

جمعت حوله الوري فله حا ل حسود ووقفه المحسود
(٤٤)

شقيت بنفسى والحسود عذيرها
فكيف شقائي والحبيب عذولها
(٥٣)

ما أبالي والهوى يبرئني ان رمانى حاسد بالتهم
(٦٠)

تقم الحساد أنى صابر رب صبر فى فؤاد البائس
(٦١)

ثم نقرأ له أخيرا :

ماذا أفادت بنات الشعر قائلها

الا عداوة حساد وعدال

وهكذا يحاصر الحسد الشاعر ، ويلون الحياة والأشياء
بلونه فحيث تلفت لا يجد الا الحسد (١) .

وتمتد هذه الظاهرة فى شعره ، حيث تبدو فى ديوانه
الآخر ، بصورتها المرهقة لنفسية الشاعر والقارىء معا ،
حيث ينتهى الشاعر الى أن الحياة ليست أمام عينيه الا بحرا
للحسد :

يسبح الأحياء فى بحر الحسد

فاعتصم بالصبر فيه والجلد

واقنع صهوته مستبشرا

سباحا فى الموج منه والزبد

(٦١٦)

ثم نجد الشاعر - فى هذا الديوان - يتفلسف تفلسفا
عيبيا ، ويدور - عاجزا - حول الأشياء والفكر التى دار
حولها أبو العلاء بذكاء وفطنة ، وعلم غزير ، فنجده مقلدا
صغيرا ، مهاترا . . . والى جانب ذلك نجده شديد الاعتداد

(١) انظر - على سبيل المثال - ص ٢٨ ، ٥٧ ، ٧٣ .

بنفسه ، كثير النعى على انكار مجتمعه له ، كثير الشكوى
من خمول ذكره ..

فاذا اتجهت الى تصفح أدواته الشعرية ، وخصائصه
الفنية - فى ذلك الديوان - بعد أن ضاقت نفسك بمضامينه
التي تترجح بين المرض واللباجة .. وجدت نسيجا نثريا
مسطحا ، خاليا من الخصائص الفنية القوية ، التي تفرض
نفسها فى تكوين الصورة ، وتلوين اللغة ، بل وخلق المعجم
الشعرى الخاص ..

هذه - اذن - هي صورة الشاعر للوهلة الاولى ، وهي
غير مشجعة على التأنى فى دراسته ، وتكاد تستنجد بكلمات
المازني لتخلص منه ..

ومما يزيد الطين بلة - كما يقولون - ان بعض ذلك
الوهن يستمر فى شعره ، ويظهر على آماد متفاوتة عبر
دواوينه .. وتحتاج الجياد من قصائده الى صبر وأناة ، حتى
يستطيع القارئ أن يصل الى ما يمثل جوهر نفسه ، وزبدة
شاعريته ، وهو قدر من القصائد يستطيع أن يضعه - بلا
ريب - بين شعرائنا المجيدين ..

وليت أحد الدارسين يعكف على هذا الديوان الكبير ،
فيخرج منه بتلك اللآلئ المبعثرة بين أصدافه . ويضعها
يسيرة التنازل بين أيدي القراء .
نحو من عشرين قصيدة :

وهذه محاولة أولى لاختيار نحو من عشرين قصيدة
لاجراء دراسة عليها ، تعتبر من روائع شعره ، ويعتبر

بعضها من فرائد ما أنتجته قرائح شعرائنا المعاصرين .
وربما يحىء دارس - بعد ذلك - فيضيف الكثير من
قصائده الأخرى ؟ فالرجل كما كان يقول عن نفسه ، وكما
ينعته محبوبه وتلاميذه كنز أشعار :

من كل معنى يروع الفهم طائله
معنى من الجان فى لفظ من الجان

من كل معنى كموج البحر مطرد
جم الجلال فلولا الله أعيانى

(١٦٥)

وليس اصطفاء ذلك العدد القليل فى مجال الاستجادة
أمراً مزرىاً بشاعرية الشاعر ، ولا بمستغرب فى تاريخ الأدب
فعلى مدى العصور تتضاءل حصيلة المعجبين من شعر
الشعراء ، فتظل أسماء ، يتردد صداها ببضع قصائد ،
أو ربما بقصيدة واحدة ، أو مقطوعة ذات دلالة إنسانية
وفنية خاصة .. وهكذا يتوارى مجموع نتاج المتنبي وابن
الرومى وأبى تمام وأبى العلاء وغيرهم ، فلا تذكر الا قصيدة
لهذا أو أبيات متفرقة لذاك ..

محاولة تصنيفية :

وقبل أن نطرح فى دراستنا هذه الكثير مما قاله
الشاعر ، يحسن بنا أن نقدم للقارئ هنا محاولة تصنيفية
لهذه القصائد ، التى لا تخلو من فلذ شعرية ، ولا من أبيات

فريدة ، والتي لكثير منها قيمة اجتماعية فى دراسة حياة الشاعر قل نظيرها ، فكثير منها مباشر فى دلالة ، يوضح أطرافاً من سلوك الشاعر اليومى ، ومتاعبه المهنية ، وعلاقاته الاجتماعية .. وهذه هى المحاولة :

(١) ملامح نفسية واجتماعية :

١ - هجائيات :

مجموعة من قصائد الهجاء المباشر ، لمن ينفس على الشاعر شاعريته ، ومن ينتقص قدره ، أو يسرق منه درره ، أو يلاحقه بالضغينة والرياء .. ويشتم من بعضها أنها موجهة الى المازنى أو العقاد .. ولو أن الشاعر ينفى ذلك فى مقدمة ديوانه السابع - أزهار الحريف - ويتهم من يحزر ذلك بالجهل :

« انى لا أعنى أحدا بقصائد الهجاء .. ولذلك أرى من العبت والجهل بفروض الشعر ، قول قائل انى أعنى أحدا بما أقول فى أى باب من أبواب الشعر » (٥٠٤) .

وعلى أية حال فقد وجدنا أننا لسنا أول أولئك الجهلاء ، حيث رأينا من يؤكدون فى دراسات سابقة أن الشاعر كان يعنى بالفعل زميليه وصديقيه السابقين : العقاد والمازنى .. ولسنا نتابع هنا سيرة الشاعر حتى نحقق هذه القضية .. وما يهمنا هنا - فحسب - أن نشير الى هذه الظاهرة فى شعره ، وهى هذا الهجاء المرير لمن يسرقون شعره ، ويلغون فى سيرته .. فى مثل القصائد :

صـرصور الشعر : ٤٢٤ - الروضة المنتهية : ٤٢٩ -
لص أم أديب : ٣٩٢ - نذالة التعساء : ٦٢٥ - صورة
الصداقة والعداوة : ٦٣٠ - صديق البلاء : ٦٣٥ - أقوام
بادوا : ٦٤٣ .

وغير هذه القصائد كثير في دواوين الشاعر . .
وصورة الشاعر من خلالها أنه مبدع ، وعبقريّة فذة ، وأن
أحقاد الأديب هذا أو الشاعر ذاك تتابعه ، لأن سخائم
النفوس لا تسـل ، ولأن عبقريته الباهرة ، تدعوهم لذلك .
وقد يذكرهم الشاعر في بعض هذه القصائد بأن الكل بائـد
ولا شيء يستأهل في هذه الحياة منافسة ولا لجاجة . .
فالشعر زائل ، كما زالت الحضارات . وأنه لذلك سيصمت
وسينسحب من الميدان ، تاركاً لهم الجو خالياً ليستنسر
بغائهم والشاعر لاذع اللفظ أحياناً ، مقذع في هجائه ،
ملء النفس بالمرارة والسخط . .

٢ - في الشكوى :

من هموم الحياة الصغيرة ، كتأخره في سلك الترقى
الوظيفي ، أو انصراف الناس عن الالتفات الى عبقريته ، أو
ما يخاله ترصداً من البشر لطموح نفسه ، وعلو همته . .
مثل قصائده :

شكوى : ٤١٥ - شقوة العيش : ٤٠٥ - الموه : ٤٠٣ .
تمثال سوء : ٤٢١ - سم الحسة : ٥٦٠ . وغير ذلك كثير .
فالناس - في نظر الشاعر - يتسمون بالغباء ،

والمجتمع يرين عليه الجهل والحمول ، وسيظل هذا حال
المجتمع الانساني ، ولا أمل للشاعر :

ودهم مثل بغضهم فيه عدوى
مثل عدوى تسعى بها الثؤباء
ويرى المرء أنه كسل شيء
هو تبر وما عداه هباء
مركز الكون ، حوله دائرة
الأفق ، وبهو من فوقه وسما
ولقد تحمد الخليل طويلا
ثم يبدو ما كان منه انطواء
فاذا الغدر شيمة وطباع
واذا السود والنوفاء رياء
(٥٩٢)

وفي خضم هذه القتامة قد تومض بعض الأبيات بالأمل
في المستقبل ، وقد تنفجر النبوة زاخرة بالوهج الروحي ،
والشفافية المؤثرة :

لئن خائني الذكر الجليل وملني
مسامع قومي أو غلبت على أمري
سأروى عظامي شاعر بسوعه
وينثر أزهار الربيع على قبري
إذا جنني الليل البهيم أطاف بي
خيالا له يزري على صفحة البدر

يجيء مجيء النسوم من حيث لا أرى
 ويسمعي ما قد قرضت له شعري
 فيا ساكننا في الغيب هذي نبوتي
 فذكر بها القوم الألى جهلوا قدرى
 اتيح لهم صاد الى النهلة التى
 شربت بها ربا يبل جوى صدرى
 فساموه أن يسعى على منهج عفا
 قديما كما يسعى المقيد فى الأسر
 (١٦٧)

٣ - بكائيات :

على حب ذاو ، بلغة مباشرة ، ووسائط فنية تقليدية .
 تتسم بالأسراف فى التدلل ، والخضوع للمحجوب الذى
 لا يبالى به ، ولا يحس بأساءه ، ويتكرر فيها ذات الموقف فى
 القصيدة بعد القصيدة .. كما فى قصائد :

الهوى حلم العمى : ٤٣١ - ملك القلوب : ٤٠٩ -
 التفاهم فى الحب : ٤٠٨ . الى غير ذلك من القصائد وهو
 كثير .

والحببية دائما أعظم ما فى الوجود ، وأبهى من كل
 المراثيات ، والشاعر أبدا متعبد فى محراب الهوى ، مقيم
 دائم على الوفاء ، مهتد حيناً أو مذكر بأن الحسن يذوى كما
 يذوى كل شئ فى الوجود ، وأنه سيكون نهبا للهرم ، أو
 نهبا للذود فى باطن الثرى ..

وفى بعض قصائده ولح بتصوير هذه الصورة الأخيرة المنفرة ، وتجسيدها أمام الحبيبة والدود يعيث فى رمتها ٠٠ وهى صورة مخيفة حقاً ٠٠ ولست أدري هل تنعطف حبيبة نحو من يحبها إذا راعها بذلك أم تزداد نفورا منه ، وشكاً فى ذوقه ، وفى نوازعه النفسية على السواء .

وتبدو الحبيبة حيناً سابحة فى جو من البضارة والبهاء تسبح مع النجوم والأقمار ، وتهفو مع النسائم والأزهار ، كما يسبح الشاعر حيناً - من حبها - فى جو من الحب للمطلق ؛ حتى لتخاله حيناً يناجى الله ، منبعث كل جمال فى الوجود عند المتصوفة ، وتخال أنك أمام شاعر صوفي يرمز بال مخلوق الى الخالق ٠٠ غير لفتات هنا وهناك تشرح الصورة ، وتعيدك الى دنيا البشر ، الى حب الشاعر للمحدود ٠٠ فهو يتغنى حيناً :

وان ترض عنى فالحياة جميلة

وان تبدا صدا فالنهار دياجر

وان تبدا لى عطفا فما الكون باطل

ولا العيش خوان ولا الدهر جائز

(٢٢٤)

كانى لم أعشقتك فى كل نبضة

لقلبي ولم أعشقتك من حيث أشعر

كانى لم أعشقتك فى كل طرفة

لعينى ولا فى خطرة حين تخطر

(٢٣٩)

ويقول حيناً آخر :

فلا تحزنن ان أدركتني سلوة
فأنت الذي علمتني كيف أصبر
فأنساك حتى لست أدري : أعائش
على الارض تسعى ؟ أم دفين مغفر ؟
وأنساك حتى لو عرضت مسلما
لما سرني منكم سلام ومحضر
والشاعر يحمل أحيانا لحبيبه المنصرف عنه قدرا
عجيبا من الموجدة : لم أره عند شاعر آخر :
أحبك حبا لست أهلا لمثله
وما كل حب للجمال يطيب
فنفسك مثل القبر قبح وظلمة
وجسك غصن في القبور جديب

(٣٢٧)

وقد تتصاعد الموجدة الى أكثر من ذلك فيقول :
سينفذ فيك الموت أمرا مقبدا
وتلقى الذي قد كنت قدما تحاذر
وياكل منك الدود ما شاء حغبة
ووجهك مقبوح وعظمك ناخر
وريحك ريح النتن لانتن مثله
تسد اذا ما شم منه المناخن

(٣٢٥)

مع أنه يحمل ذلك الحب الذى تسبح أوصافه فى المطلق ؛ حتى لتقارب حبيبته الاله ، كما قلنا ، وليتشابه مع المتصوفة فى الحانهم العلوية ، على نحو ما يقول :

فأنت جميل كالنهار وضياء
وأنت جميل كالزهور نضارة
وفيك جمال الأفق فى وضع الفجر
فيا آية الكون الذى أنت عطره
كذاك جمال الروض يحمد فى العطر
(٣١٣)

٤ - الاجتماعات :

فللشاعر بعض المشاركة فى الشعر الوطنى ، وتناول بعض التطورات الاجتماعية والسياسية ، وتبادل القريض مع أصدقائه الشعراء ، والثناء على شاعرية بعضهم كالعقاد أو معاتبتهم كالمأزنى .

ومع أن ديوانه يلم بكثير من القضايا الاجتماعية التى كانت مثارة آنذاك ، وكان شاعرنا يقف - وأعيا - ضد مظاهر التخلف ، كما فى قصائده :

- الزوجة المهجورة تعالج السحر : ١٥٦ ، الحجاب : ١٥٢ ، الحب والحجاب : ١٥٨ - الحب الكبير : ١٦١

فإن وجدان الشاعر لم يتسع اتساعاً كاملاً لكل فضائل عصره ، فظلت نظراته الى بعض القضايا نظرة متخلفة

ترزح تحت نير التقليد والتخلف الحضارى ، كموقفه من قضية اللون ، واقاراره بالفروق - التى كان يظن أنها جوهرية وطبيعية - بين السود والبيض ، فى قصيدته : « خطأ الحر واصابة العبد » التى يقول فيها (١٦٠) :

إذا ما أصاب العبد فى فعله
فما الفضل الا للذى هو أمره
وان أخطأ الحر الأبنى فانه
لافضل من عبد تهون مصادره

وواضح فى هذه الأبيات البعد عن العاطفة الانسانية وعن الموضوعية العلمية ، غير أن ذلك كان قليلا فى شعره وشعر معاصريه .

هـ - هواجس النفس وتأملاته المجردة :

ومع أن هذا الشاعر كان معنيا بدخيلة نفسه ، وكان مولعا بمظاهر الطبيعة ، فتغنى وتأمل فى البحر والغابة والجبل والصحراء ، وحاول الولوج الى أسرار نفسه ، واستبطن مشاعره - كما سيبدو فى تحليل القصائد المختارة - مع هذا فان لدى الشاعر قدرا كبيرا من المنظومات يتهافت فيها فكره وتهيب شاعريته ، ويدور حول أوهام نفسه وتخليط فكره متوهما أنه يدور حول محاور الحقيقة الانسانية ، ويقترب من الجوهر النفسى ، بينما يدف على أرض جرداء ، فى لغة لا فن فيها ولا شاعرية .

فهو يتفلسف حول قضايا بديهية لا اختلاف حولها
ولا خفاء :

خفيت حكمة الحوادث عنا فشقينا شقاوة الجهلاء
لو رأينا منابت العدل فيها لنعمنا بالعيشة الحشناء
لو رأينا مطالع العدل فيها ما شكونا مضاضة الأرزاء
وخداع الحياة أروع جلبا لأسى المرء من خداع النساء

(١٠٨)

أو يتأمل تأملا فكريا مجردا ، بعيدا عن لغة الشعر
التجسدية الموحية :

أكلب الدين ما يقيم قوى النفس
كما يخرس الرياح الركود
انما الدين أن تفك عقبال النفس
من اليأس والحمول قيود

(١٠٩)

ونجد في قصيدته الجمال والعبادة (١١٢) تعليقا على
حضارة اليونان ، واستحسانا لما وصلت اليه من فن
واعتماد بالجمال . . . ولكن القصيدة لا تصور انفعالا عميقا
وأصيلا بأثار هذه الحضارة ، ولا لحظة من نشوة الفنان
المعاصر وهو يتعبد في محاريب الجمال والحب ، تذكارا لما
أقامته لألهة الجمال والحب من معابد ، وما قدمته من رفيع
الفن وتحالد الفكر . . . بل يكتفى الشاعر بقوله :

الحب والحسن والأشعار دينهم
 أنعم بذلك ديتا بين آديان
 لم يزر بالحق حب العيش بينهم
 فالحق والحسن ان فكرت سيان
 وهو كلام خال من جمال الفن ، ومن ذكاء التفلسف
 على السواء .



وبجانب هذه التأملات الفكرية التي عددناها غير بعيدة
 الغور ، هناك محاولة لرصد انفعالات الشاعر النفسية . .
 وخطراته وهوائه ، غير أنها في كثير من هذه القصائد التي
 آثرنا أطراحها ، تخرج الى شيء مما دعاه المازني « حمى
 الحواس ، وهذيان العواطف ، وضعف الروح » وذلك أننا
 في الشعر الذي يسبر غور النفس الانسانية ، نغرق بين
 شعر يجلى نوازعها ، ويتغلغل في صميم احساسها بالوجود
 وتناقضاتها أمام الخير والشر ، وتوزعها بين المعرفة والضلالة
 وشعر يلم بأعراضها الزائلة ، وأوهامها الحائلة ، وكأنه من
 وحى الحبل والاضطراب ، كما وسحه به شاعرنا حين قال :

ان رضيت العيش بعدكم فحياة المرء في ألمه
 أو بكى شعري فلا عجب بعض شعر المرء من ألمه

على أن الشعر سواء أكان من خيل النفس وتخليطها ،
 أم من عمق التأمل بها ، وتصوير دقائقها يبقى شعراً اذا
 ما اكتملت فيه خصائص الشعر الفنية ، ولذلك فإن هذه

المجموعة تظل تخليطاً وأوهاماً لأنها تتجرد من لغة الشعر
وسيمائه ، ولا تحمل سوى الهيكل العروى الذى لا يستطيع
وحده أن يحيل الحديد ذهباً .

ولقد كان عبد الرحمن شكرى كثير الظنون بالناس
الى درجة مرضية كما أشرنا ، وقد كانت هذه الظنة عميقة
الجنور فى نفسه ، ولعله كان يعنى نفسه حينما قال فى كتابه
المبكر « الاعترافات » الذى نشره عام ١٩١٦ :

« الشباب المصرى يكثر من اساءة الظن ، وهى صفة
اشتهر بها المصريون ، والسبب فى سوء ظنه عصور الاستبداد
الطويلة التى مرت على مصر ، فانها أبقت هذا الارث فى
نفوس الأفراد ، لأن الاستبداد يبعث سوء الظن » .

ثم يصف الشاب المصرى بأنه « مهيج العواطف ، كثير
الغرور ، كثير الشكوى والتعذر ، كثير الحيرة والشك » وهى
صفات من أخص خصائص شكرى نفسه .

ولذلك نجد فى شعره هذا اللون من الظنة المرضية :

أنى تلفت لم أبصر سوى رجل
بأدى العداوة مخضوب الأظافر
هم يحسدونى على عيشى فوا أسقى
عيشى عليل وصنعى غير مشكور
تكشف الناس عن عاد له إحن
وعن ذليل شديد الغل مقهور

الشر والكذب والأحقاد طبعهم
والحقد فى الطبع باد غير مستور

(٢٥٠)

ومن ذلك الشعر الذى يعرض فيه هواجسه النفسية ،
الهتاف الدائم للموت ، واللهج بذكره ، وتصوير جثمانه
أو جثمان حبيبته وقد رتع الدود بين جنباته ، فى غير مامسوخ
من تجربة يمر بها الشاعر ، أو فلسفة يتكئ عليها :

أما آن أن ألقى قضاء يمينتى
فإرتاح حسادى وتسلى المعاذر
وينسانى الوغد اللئيم لميتى
ويرتد عنى نابه والأظافر

(٢٢٦)

وهو مظهر من مظاهر قلقه النفسى وتوزعه الفكرى ،
وفرقه من الحياة والأحياء . . ولا بأس أن يعرض الشاعر
للموت ، ولا أن يصوره ، ولا أن يتفلسف حوله ، ولا أن
يحسه حيناً يذب فى جسده ، ولا أن يجوس فى عوالم
الموتى . لا بأس من كل ذلك على ألا يكون هذا فراراً
وفرقاً وقشعريرة مرض من الحياة والأحياء :

فأصبحت أخشى الناس فى كل خطرة

وأفترق من داعى المودة ان دعا

ومن شقوة الانسان ان خار لبه

وأصبح خفاق الأضالع والحشى

كأنى بين الناس من أهل عالم
 جديد غريب أخطأ الأهل والحمى
 فما لى من عطف لديهم ورحمة
 ولا لى فيهم من اخاء ولا هوى
 يعيبون نفسى ضلة وجهانة
 ويرمونى بالسوء والمكر والخنى
 فيما شقوة الأيام هل منك مهرب
 فأعدو وهل ينجو من النحس من عدا

(٤٠٦)

هكذا تفرق نفس شاعرنا من الحياة والأحياء فى مثل
 هذه القصائد ، ويكثر فيها الحديث عن النحس والحسد ،
 ويتمنى الشاعر فيها الخلاص ، لا لأسباب كونية فيتخذ
 موقفا من الوجود كأبى العلاء ، ولا لفرقة اجتماعية أو مثالية
 ولكن لأوهام يستسلم لها ، وخيالات تستبد به :

ان بالمرء جنونا جاعلا نوبة للشر فيه تحتدم
 لا ينال البرء من نوبته أو يذيع الشر منه والألم
 هل لنا من كوكب ذى مرة تصدع الأرض اذا ما يصطدم
 (٢٢٩)

غير أننا لا نعلم بين هذه القصائد ومضات من عبقرية
 الشاعر ، ونفاذ فكره ، كما يقول مثلا عن الحظ :

أنت سحر يكسو القبيح جمالا وينيل الوضيع أفق العلاء

وينيل القمء أجنحة النسر بخشوع وذلة ورياء
يرتجى الناس غيثها وعلاها فيغدو لقوفه كسماء

(٦٠٣)

ويقول فى تعرية المظاهر الكاذبة :

كم تحت مئزر ذات الحذر من دنس
وفى ابتذال ذوات العهر من خفر

(١٧٥)

وهى نظرات تتصل بفكرته عن الناس ، وخواء يده من
فضائلهم ، وشكك فى حاضرهم ومستقبلهم على السواء ،
كما يقول :

وكيف أرى فى مستقبل الدهر للورى
علاء ومحى يجمع الخلق والفهما
إذا كان صدق الناس كذبا وفضلهم
رياء وود منهم الغدر والسما

(٦١٩)

أو كما يقول - وذلك من ومضاته النافذة - عن أهمية
الآمل فى حياة كل انسان ، وأنه وقود الحياة ، وضرورة
استمرارها ، وخلو النفس من أمنية ما ، أو مثل أعلى تتوق
إليه ، واحساس غامض بالمطلق .. يدع الانسان جسدا
لا حياة فيه ، ولا رجاء من وجوده :

والشقى المحروم من لا يرى فى
 العيش فرضاً ينأى به عن شقاء
 ذاك من مات قلبه وهو حى
 وغدت نفسه كقفر خلاء
 خاصمته النعماء فى كل أمر
 وبدت فيه وحشة البداء
 خيبة المرء أن يمل مناه
 لا تمادى الحرمان والابطاء
 (٦٠٥)

أو ترى لديه ذلك الاحساس الاليم بمرور الزمن ،
 حين يقول :
 نحن نبكى كل ميت راحل
 كيف لا نأسى على يوم مضى
 وحين يخاطب اليوم المنصرم بقوله :
 رحم أنت لما تاتى به
 أم ضريح للذى مر بنا
 (٢١)

الى غير ذلك من الفلذات الشعرية ، وهى غير قليلة .
 ب - فى النسيج الشعرى العام :
 خلصنا فيما سبق الى رصد الظواهر النفسية ،
 والملامح الاجتماعية التى تسود ذلك القدر من شعر شكرى

الذى سنطرحه من اختيارنا ، والآن نشير الى بعض مظاهر
النسيج الشعري لهذه القصائد :

١ - المعجم الشعري :

لم يكن شكوى من أصحاب المعاجم الشعرية ، فلم تكن
لديه عنا قيد من الصور والمفردات اللغوية - ذات الدلالة
الجمالية والنفسية - يستخدمها على وجه خاص ، وتثرى
لغة الشعر العامة ، ولم يكن لديه ذلك الاحساس المرهف
بموسيقى الكلمات ، وظلالها النفسية والاجتماعية .. ولذلك
نرى أنه لم يضاف جديدا الى لغة الشعر العربى ، شأن
كبار الشعراء فى كل لغة ، وكانت حساسيته نحو اللغة
حساسية معجمية ، لا حساسية نابعة من حياة اللغة
على الألسن ، وامتدادها فى وجدان القراء ، بل من معرفته
بمعناها فى القاموس ، لذلك نرى كثيرا من الكلمات
القاموسية فى شعره موضوعة وضعا لغويا ، لا وضعا
شعريا ، فهى بعيدة من الايماء الفنى ، بل كان من الممكن
تفاديها ، واستخدام كلمات أخرى أكثر توصيلا للاحساس
والفكرة من تلك الكلمات الميتة ، وقد يقال ان على الشاعر
وخصوصا فى فترات البعث القومى ، أن يحيى الكثير من
كلمات اللغة ، ولقد فعل شوقى ذلك - على سبيل المثال -
ولكنه وضعها فى سياق شعري أسر ، وبذلك وهب لها
ميلادا شرعيا جديدا ، أما شكوى فقد حملها فى شعره بين

أكفانها ، فظلت بعيدة عن الايمان الشعري . . من تلك
الكلمات :

• • • سدك : ومعناها لزم واستخدمها في قوله (٢٠٥)
سدكت بنابليون سالبية الكرى

والنوم لا يعنو لكل عظيم

• • • التوقل : وهو العلو والارتفاع . (١٧٩)

أهاب بباغى المجد كبر مضلل

وما الكبر الا داء من يتوقل

• • • الاقليد : ما يفتح به الباب . (١٨٢)

ثم أهوى الى الرتاج فأجرا

• قليلا بهزة الاقليد

• • • أدوف : أمزج (١٨٣)

قالت : اهناً . . دعنى أدوف له السم

وأبغى غفران رب غفور

• • • الشحشحان : القوى الشجاع (١١٩)

تحيلت نجوم السعد والحب والمنى

فحن اليها الشحشحان المغامر

• • • أليل الليل : ما يتخيله المرء من الانين في سكونه

النام (٢١٥)

• • • المصمئلات : المصائب : (٥١٢)

• • • النسبروت : المحتاج . (٥١٦)

- • طخيان : مظلم (٥١١)
- • نهاء ونهى : التقدير (٥١٣ ، ٤٥٠)
- • الوغم : الحقد الثابت فى النفس (٤٥٩)
- • سينع : من صنع حسن وطال (٤٨٨)
- • الفيطل : الظلمة المتراكمة (٤٤٣)
- • الدقعاء : الأرض (٥١٣)
- • بل يستدرجه هذا النهج الى استخدام الفاظ لا يطاق
سماعها فى عصرنا ، ولا تلائم السياق الشعرى
المحشوة فيه ، بل تناقضه معنويا ، كاستخدامه
كلمة كلجة فى وصف القبل (٤٨٥)
- قبل صوتها ككلجة النيران
فى يابس الغضا والاضاء
- • ويستخدم الصيغ المهجورة كاستخدام صميت
والصمات مبالغة من الصمت (٤٩٠ ، ٥١٦)
- كما يستخدم المرادفات الميتة كقوله التوراب بدلا من
التراب (٤٥٠)
- وهذا يدل على حساسيته المعجمية باللغة •

٢ - وظيفة التشبيه :

كان أبو تمام يكثر من تشبيه المحسوس بالمعنوى ،
ولم يكن هو من اخترع ذلك فى اللغة العربية ، بل هو الذى

أكثر منه ، وخرج به عن سواء الصدق الغنى ، ولقد تأثر
به شكرى فى بعض الاحيان ، فندت عنه تشبيهات مفتعلة
كقوله :

تجلى بصفحة مائه صور الربيع الأخضر
فكان فوق الماء ما صنعته كف مصور
وكان صورة درهم سكنت بخاطر معسر
(٣٧)

وقد كان شاعرنا من أوائل من تنبهوا الى وظيفة
التشبيه فقال فى مقدمة ديوانه الخامس - الخطرات - الصادر
فى عام ١٩١٦ :

« ومثل الشاعر الذى يرمى التشبيهات على صحيفته
من غير حساب ، مثل الرسام الذى تفره مظاهر الالوان
فيملأ بها رسمه من غير حساب ، وليس الخيال مقصورا
على التشبيه . فانه يشمل روح القصيدة وموضوعها
وخواطرها ، ولا يراد التشبيه لذاته ، وانما يطلب لعلاقة
الشيء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الانسان » (٣٦٣)

وللعقاد حديث طويل ومشهور فى « الديوان » عن
التشبيه ، وفيه يقول : « انما ابتدع التشبيه لنقل
الشعور من نفس الى نفس ، وبقوة الشعور ، وثيقظته ،
وعمقه ، واتساع مداه الى صميم الاشياء ، يمتاز الشاعر
على سواء » .

غير أن بعض التشبيهات عند شكري لا تسير على
هدى من هذه الفلسفة الرشيدة ، ولكنه يتحول الى تقليد ،
أو اختراع غير موفق .. وربما كان هذا فى مراحل
الاولى .. بيد أنه يحسن أن نشير الى بعض هذه
التشبيهات :

عمى الدجى عن مطلع الفجر
فى ليلة كسرية الدهر
ولع البكاء بنظرى كما
ولع الندى ببذائع الزهر

ونعنى التشبيه فى البيت الثانى ، فهو يسير على
ذلك انسق المعجوج من ترائنا الشعري ، حيث لا ينبثق
التشبيه من اللحظة النفسية ، ويكون انعكاسا للتجربة
الشعرية ، يخدم السياق العام للقصيدة وينميه ، بل يأتى
هنا لمجرد أن وجه شبه ما يقرب بين المشبه والمشبه
به ، وجه ما فى الشكل أو فى اللون أو فى الحركة ، أما
أن يكون الجامع النفسى ضروريا ، فذلك ما لم يخطر على
بال بعض شعرائنا القدامى .

وصورة المشبه به هنا تقع فى جو لا يتناسب مع
السياق العام ، فهى زاهية اللون وهو ليل أعمى ، وهى
مفترقة الثغر ، قديمة ببشائر الحياة ، وهو روض ممتنع
الرقاد ، وقلب حزين باكى الطرف .. ومن هنا يقع

التناقض بين الصورة الشعرية ، وبين المسار العام
للقصيدة •

ويقول شكرى :

وكان الشمس تجلى فى خمار من لهيب
أقبلت فى الأفق تسعى مثل أقبال الحبيب
وما أظن أحدا منا يرحب بعناق هذه الحبيبة الملتهبة
الحارقة ، ويقول :

والبحر لا تحده الا بطول الأبد
كانه ذو دولة مكلل بالزبد
كانه ذو مهجة موسومة بالحسد

فما أبعد ما توحيه الصورة الاولى والذانية من الجمال
والكمال ، عما توحيه الصورة الثالثة من الضعة والبهوان ،
وما تبعثه الصورتان الاوليان من الاحساس بالعظمة ، عما
تبعثه الاخيرة من الاحساس بالازدراء •

هنا - فى مثل هذه التشبيهات - نفتقد الجامع النفسى
الذى نفتقده فى بعض شعرنا القديم ، ألم يقل المتنبى
- متجردا من كل احساس انسانى - عن مدوحيه :

قوما اذا أمطرت موتا سيوفهم
حسبتها سحبا جادت على البلد

والم يقل آخر - في كذب وادعاء - يصف مصلوبا :

كانه عاشق قد مد صفحته

يوم الوداع الى توديع مرتحل

او قائم من نعاس فيه لوثته

مواصل لتمطيه من الكسل

على أن ذلك - والحمد لله - لم يكن دأب شكرى فى

شعره . . ولكنه ظاهرة فى بعض ذلك الشعر .

٣ - اشارات ميثولوجية :

أشار الكثيرون ومنهم العقاد الى رحابة ثقافة شاعرنا

وقد تسللت من هذه الثقافة الى شعره مجموعة من الاشارات

الميثولوجية والتاريخية والادبية ، منها قصيدته عن «النعمان

ويوم بؤسه » (١٤٢) و « كسرى والاسيرة » (١٩) .

وقوله من قصيدته « امرأة تكلم بعلمها » (١٤١) :

فى كل لحظ عطيل ثار ثائره

وكل خطرة فكر رجع وسواس

وقوله (١٧٠) :

ويا ليت أنى مثل زوس مسيطر

على الرعد أن أغضب كذا الرعد يغضب

وقوله (١٧٨) :

جاء الخيال مضيئاً في الدجى مرحا
فكيف يصدق ما غالى به ماني

وقوله مخاطباً أبا الهول (٤١٣) :

يامن سؤال العيش في صمته
اسأل ومن لم يجب يقتل

وفى قصيدة أخرى (٤٥٧) :

فمن لي بنفس في الشقاء نعيمها
كأنني في نار الشقاء سمندل

وتضمنه بيتا لبيتى الشاعر الألماني في قوله (٤٩١) :

ليس إلا كما يقول ركن
لايفيت الصواب منه مفيت
فوقنا الأنجم الصوامت لا تدرى
وتحت الرجام صم سكوت

• • وواضحة اشارته الى عطيل شكسبير ، وزيوس رب
أرباب الأولمب ، وماني رأس المانوية ، وهى نحلة فارسية
تقول باله للنور ، وهو اله الخير ، واله للظلام ، وهو اله
الشر ، ودوام الصراع بينهما ، الى ما جاء فى أسطورة أوديب
عن أبى الهول ، وسؤاله لكل من يمر به ، من الكائن الذى
يمشى على أربع ، ثم على اثنتين ثم على ثلاث • • وحل اللفز
أن ذلك الكائن هو الانسان ؛ لأنه يحبو على أربع ، ثم

يشب فيمشى على اثنتين ، ثم يستعين فى شيخوخة بعصاه .
فيدب على ثلاث ، ثم أشارته فى البيت الأخير الى الدابة
التي تسمى أسطوريا (السمندل) وقد جاء فى الأساطير
العربية عنها أنها لا تحترق بالنار .

... غير أن حظ هذه الاشارات الميثولوجية والثقافية
والتاريخية كان قليلا فى شعره ، وكذلك استقاؤه من أحداث
التاريخ كقصائده عن نابليون، وقد كانت ثقافته أوسع بكثير
من هذه الاشارات القليلة ، التي تنمو عند بعض الشعراء
الى وجهة نظر كاملة فى الانسان وفى الكون من خلال
ابتعات التاريخ أو استلهام قصصه وأساطيره .

على أن روح الميثولوجيا لم تستطع أن تسرى فى شعره
ولا شعر زميليه العقاد والمازنى ، لأنهم لم يكونوا من أصحاب
الخيال المجنح الخلاق والعاطفة العميقة المتغلغلة فى مظاهر
الوجود ، بقدر ما كانوا أصحاب نظر وجدل واستبصار
بالفكر لا بالخيال .

٤ - فى الأوزان والقوافى :

حاول شاعرنا أن ينوع فى نظام التقفيه بالقصيدة
العربية . متاثرا بالموشجات حيناً ، وبالشعر الانجليزى
حيناً آخر . فكان له من هذا :

١- القصيدة ذات القوافى المتقابلة . . على نحو ما نرى
فى قصيدته « أم اسبرطية » (١٧٦) ومنها :

فر يبغى من الحمام مجيراً
 فأعان الردى عليه المجير
 بادرت به بحتفه أمه وهو
 على عاره اليها حبيب
 ولو أن النذير أوحى اليها
 وهو فى المهد أنه سيخور
 لرمته بجانب الجبل الشا
 منح لم تنتزع عليه الغروب

٢ - الشعر المرسل : وهو المحرر من قافية واحدة
 تلتزم بها القصيدة ، فلكل بيت قافيته المغايرة لما قبلها
 وما بعدها ، ومن ذلك قصائده : واقعة أبى قير : ٢٠٣ -
 نابليون والساحر المصرى : ٢٠٥ - عتاب الملك حجر
 لابنه امرئ القيس : ٢٠١ ، ومنها :

تريق دنان الخمر جينا وخسنة
 ولو قد أرقت الماء كنت ظلوما
 فان دماء الثائرين كثيرة
 وهذى السيوف الباترات صوادى

٣ - شعر المقطوعات •

٤ - المزدوج والخمس

وكل هذه التغيرات فى شكل القصيدة مما مهد للتغيير الكبير الذى أحدثته حركة الشعر الحر ، غير أن تأثير عبد الرحمن شكرى فى هذا المجال كان ضئيلا ، لأن التأثير الأكبر نبع من مطران ومدرسة المهجر ومدرسة أبوللو . . . بل أن اختراعه الذى أكثر منه ، وهو الشعر المرسـل وله بذور قليلة فى التراث الشعرى - لم يستسغه أحد من الشعراء ، وفرق منه زميلاه العقاد والمازنى ، وأعترف العقاد أخيرا بأن النوق العربى ينفر منه .

بيد أن معظم قصائد عبدالرحمن شكرى قد جاء على الشكل الموروث وهى القصيدة الموحدة الثقافية ، ولكن ما حاوله من تجديد يظل - مع ذلك - غير منكور .

ج - فى مبنى القصيدة :

الشعر العربى - بعامة - شعر غنائى ؛ يعنى بالخطابة الفكرية ، ويصور فى الاعم الاغلب اتقاد الاحساس . . . وقل أن نجد فيه نسيجا حكاثيا . فاذا ما طالعنا قصائد ابن أبى ربيعة وحكاية مغامراته الليلية ، ولقاءاته الجسور بجماليات عصره حول ينابيع الماء ، أو فى اوان الطواف حول الكعبة فى مواسم الحج . أو طالعنا المقطوعات الغزلية الجاهلية عند امرئ القيس والمنخل اليشكرى وأضرابهما فى العصر الجاهلى سابقين على ابن أبى ربيعة الفارس المجلى فى هذه الحلبة بلا نزاع ، وقفنا على أطراف من القصص الشعرى لا يصل فى

خصائصه الى ما نعرفه اليوم عن فن « القصة » بعد أن تطور هذا الفن ، وأصبحت له خصائصه المميزة ، وبعد أن تأثر به شعرنا ، فأصبحت « القصة الشعرية » ملمحاً هاماً من ملامح الاضافة الشعرية لدى المدارس المعاصرة .

ولقد كان عبد الرحمن شكري من أوائل الذين اتبعوا هذا النهج الجديد في طائفة من شعره ، فاعتمد بناء القصيدة عنده أحياناً على ما استقاه من طرائق الفن القصصى ؛ متأثراً بثقافته الواسعة التي تفتح لها لغته الانجليزية أوسع الأبواب .

وفي ديوانه الضخم سوف نجد كثيراً من الخواطر الفكرية المرسلة ، وكثيراً من الشحنات الانفعالية المتدفقة بجانب كثير من محاولة التقاط حركة الحياة ، ورصد أحداث الواقع الانساني ، فقد كانت شخصية نابليون - على سبيل المثال - من الشخصيات الباهرة لمثقفى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وعندما اقترب منها عبد الرحمن شكري بشعره وجدناه يدخلها في قصائده ضمن اطار من الاحداث والوقائع .

ففي قصيدته « نابليون والساحر المصرى » - (٢٠٥) - يقص ما قيل من أن عرافاً مصرياً كشف لنابليون عن نهايته وكأنه كان يقرأ سفر الغيب مفتوحاً أمام عينيه ، وقد مهد لهذه الحادثة بتصوير نابليون متفرداً في

الصحراء ، متطلعا الى الآفاق ، متفرسا فيما يخبئه الزمان

يمشى وحيدا فى الخلاء وحوله
جيش من الآراء والعزيمات

حتى التقى بذلك العراف :

النار من الحاطه مقدوحة
حتى تكاد تشب فيما تنظر

فى كفه عود ضئيل ، صوته
شكوى المريض الى الصديق العائد

يستخرج الالحان من أضلاعه
والعود فى تحنانه يتالم

يبكى فيحتاج الرياح بكاؤه
فكأنما ضمت قلوبا ترحم

لما رأى الجبار يمشى قربه
والليل يسجد فى غلالة راهب

رفع الغناء ومر فى انشاده
مر النسيم على الربوع الخالية

يا أيها البطل العظيم الغالب
أرح الخطى واسمع نبوة ساحر

ومثل هذا التشويق المتقن يصطنعه شكري في قصائد
كثيرة بديوانه الحافل • وسوف نقف وقفة متأنية عند
هذا الملمح فيما يلي ، عندما نعرض خصائص القصائد
المختارة ، الا أننا هنا أحببنا أن نشير فحسب اليه ضمن
خصائص شعره العامة •

القصاص والمختارة

أشرفنا الى أن ديوان شكري كان ضخماً ، واساجه في مدى السنوات العشر (١٩٠٩ - ١٩١٩) كان غزيراً ، ربما بأكثر مما أنتجه شعراء آخرون مكثرون مدى حياتهم .

ولقد كان شكري معتدا بكل كلمة يكتبها ، ويظن أنها وحى يوحى ، ويرمى بالتهمة كل من يرفع أصبعاً ؛ ولكننا هنا نرفع أكثر من أصبع ، ونطرح الكثير من هذا الشعر ، ونستلمح القليل منه .. مع تقديرنا لهذا الشاعر ، ومأساة حياته ، ووضعها في الفترة التاريخية التي أنشد فيها شعره ..

وسبب اختلافنا مع الشاعر ، أننا نختلف معه في تفهم عملية الابداع الشعري ؛ فالشاعر يصدر عن انفعال ملتهب في كثير من قصائده ، ويدافع عن ذلك المنهج في مقدمة ديوانه « أناشيد الصبا » حين يقول :

« لا ينظم الشاعر الكبير الا في نوبات انفعال عصبى ، في أثنائها تغل أساليب الشعر في ذهنه ،

وتتضارب العواطف فى قلبه ، ولكن تضاربا لا يزعج
 نبضه طيور الأنغام الشعرية التى تغرد فى ذهنه . ثم
 تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل من غير تعمد لبعضها
 دون بعضها ، أما فى غير هذه النوبات فالشعر الذى
 يصنعه يأتى فاطر العاطفة ، قليل الطلاوة والتأثير .
 وادمان الاطلاع أساس فى الشعر ، لأنه هو الذى يهيب
 الطبع ، أما انتقاء الأساليب عند النظم ، فندليل على أن
 الشاعر غير متهيب الطبع ناضبه ؛ ليس فى أعصابه نغمة ؛
 ولا فى قلبه عاطفة .

(٢١٠)

ولكننا نعتبر الشعر الجيد وليد لحظة التذكر ،
 لا لحظة الانفعال ، فالانفعال لا ينتج الا عواطف هوجاء ،
 وفكرا مضطربا ، وأساليب مباشرة .
 وليس وراء الغضب - مثلا - الا السباب والمهاترة
 وما هكذا الفن . وهذا هو السبب فى ضعف الأشعار
 التى تقال فى فورات الهياج الوطنى والقومى . أين الشعر
 الذى تخلف عن معركة بورسعيد - مثلا - لقد صدر شعر
 كثير ، ومات للحظته ، انه وليد الانفعال والغضب ،
 والشعور بالضيق ، والهياج العصبى . ولذلك انتهى ،
 وأصبحت المسافة بينه وبين الفن الحقيقى مسافة
 شاسعة .

الشاعر يمر بتجربة ككل انسان . ثم بعد مرور

وقت ما ٠٠ يستعيدھا فی نفسھ ، یلم بجوانبھا ،
 یستبطن ملامحھا وتفاصيلھا ، یدقق النظر فی أبعادھا ،
 فیما بینھا و بین شتى تجاربه الذاتیة ، وتجاربه
 الاجتماعیة ، وفكره ، من صلات ، وفی هذه الاستعادة
 الواعیة ، یتولد فی نفسھ الشكل المناسب لأدائها ، صورا
 وملامح وبعادا ، وهو بعقلیة الخالق ، بفكره الفنّی ،
 بشعوره العمیق بتجربته - هذه المرة - یشكل من تلك
 الصور والملامح ولتفاصيل الكثیرة کیانا کلیا للتجربة..
 وهو فی أثناء ذلك فی مفاوضة دائمة ، وفی صراع
 محتدم ، فلیست كل التفاصيل تتناسب مع أدائه الفنّی ،
 ولیست كل الصور بمناسبة لتوصیل تجربته الى المتلقى .
 وفی كل شعر جید یحدث انتقاء ، فالشعر هو - أولا -
 فن التأمل ، لا فن الانفعال ، وفن الكلمة المستعصیة ،
 الكلمة المتكبرة ، لا الكلمة المتأخرة فی كل وقت ،
 والمتدفقة كالسیل .

وهذه اللهجة التی كان یصطنعها شكری والعقاد
 فی الحدیث تحت ستار الشاعر الكبیر لهجة ضارة بالفكر
 النقدى ، لأنهم من وراء ذلك كانوا یقدسون نفوسهم ،
 ویحرقون البخور لذواتهم ، ویضعون الأحجار فی كل
 طریق ..

ولعل عبد الرحمن شكری قد أحس بأن الشعر

ليس وليد النبوة العصبية ، فى ديوانه الرابع ، وإن يكن
على نحو من الغموض والايجاز ، حين قال :

« وكما أن العاطفة تنطق الشاعر ، كذلك قد
تخرسه شدتها ، ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة
والتفكير فيها شعرا ، وإنما نعى الذكرى التى تعيد
العاطفة ، والفكر الذى يحييها ، »

(٢٨٨)

وهنا نعود الى الذكرى التى تعيد العاطفة ، والفكر
الذى يحييها ، لنقول ان هذا الاسترجاع للتجربة النفسية،
ومحاولة تركيبها فنيا ، بما فى ذلك من عمليات طرح
وانتقاء ، فى التجربة ذاتها ، وفى الوسائط الفنية التى
اهتدى الشاعر اليها .. تحتاج من الشاعر الى وقت ،
الى تروث وتأمل وتفكير هادئ ، وبعد عن ضجة التجربة
الى سكون الابداع .

ومن هنا يقل انتاج الشاعر المجيد ، مهما كان
خصبا ، وزاخر الحياة بالتجارب .. كما لا تستطيع امرأة
ولود أن تعطى وليدها فى شهرين أو ثلاثة .. كذلك
لا يستطيع الشاعر الا أن ينضج تجاربه على مهل .

ولكن شاعرنا كان لا يرى مظهرا من مظاهر الطبيعة
أو ملمحا من ملامح السلوك الانسانى ، أو هاجسا نفسيا،
أو خاطرة فكرية .. الا بادى بقول الشعر .

ولذلك كانت قليلة في شعره التجارب التي نضجت
على مهل ، وأعطى فيها فنا وفكرا يستحق التقدير ؛ ومن
هذه التجارب قصائده التالية :

كسرى والأسيرة - وصف البحر - معان لا يدركها
التعبير - ربما - عيون الندى - غلام مريض يكلم أمه -
الجمال المنشود - الى المجهول - خطوة عن عالم الحس -
عصفور الجنة - الحسنى مرآة الطبيعة - حكمة التجارب
كلمات النفس - خميلة الحب - الصحرَاء - الغابة -
الباحث الأزل - ليتنى كنت لها - الشاعر وصورة الكمال -
الصنع والكسب - قوة الفكر (١) .

وهذه القصائد تكون في حجمها ديوانا ربما يكون
أضخم من ديوان الشاعر ميخائيل نعيمة «همس الجفون» ؛
ونحن نعرف خطوة هذا الديوان عند قارئيه ، وكيف
أولاه النقاد من عنايتهم ، وبه استحق نعيمة أن يكون
من رواد شعرنا الحديث .

(١) الصفحات على التوالى : ١٩ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٣١ ،
١٣٤ ، ١٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٠٦ ، ٤١٩ ، ٢٦٦ ، ٢١٦ ، ٢١٤ ، ١٨٤ ؛
٢٨٨ ، ٥٩٧ ، ٦٢١ ، ٢٩٢ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ .

دراسة في المختارات

١ - في الصورة والبناء :

١ - وهذه القصائد من ناحية الهيكل البنائي تتبع نسقين :

الاول : النسق الذاتي ...

وهو ما يعبر فيه الشاعر عن ذاته مباشرة ، فالقصيدة هي صوته هو ، وهي مشاعره المضطربة ، وخواطره المتدفقة ، وهو المتحكم في مسارها ، والصانع لبدايتها ونهايتها وتطورها الداخلي ..

يتضح ذلك في قصيدة ، وصف البحر ، .. انه يواجه البحر بنفس زاخرة بالاحساس ، ان البحر يمتد ويصخب في نفس الشاعر ، وهو يراوح بين الوصف والتأمل ، ويرصد تجربته من الخارج الواقعي حيناً ومن الاحساس الداخلي حيناً آخر ، ويعرض علينا ذاتاً انسانية تحس بأغوارها البعيدة ، وكنوزها الباطنة ، وتتمنى أن لو كانت قد خلقت على هيئة البحر ، ذلك الذي يتسع لما تجيش به عوالمه من كائنات واسرار :

ألا ليتنى بحر كلجك زاخسر
 أعب كما تهوى النهى والبصائر
 فكم عبت النفس اللجوج وحاولت
 كبعض سطاك الابيات النوافر
 فأخفت من الدر النفوس ومن حلى
 كما اختبأت فيك اللهى والذخائر
 كأن بها أفقا كافك نائيا
 ومن دونه كل المدى يتقاصر

..

ثم يتحدث عن الشئون الخاصة بالبحر ، ويعقد
 مقارنات مع ما يماثله فى نفسه وفى فكره ، كأنه يتحدث
 عن صديق أثير :

خريك يحكى صدحة الدهر صامتا
 كأنك دهر بالحوادث مائر
 هو الدهر لا يخشى المنايا ، ولا يهى
 صباه ، ولا تقضى عليه المقادر
 وأنت شبيه الدهر .. لا أنت هارم
 ولا أنت منقوص ، ولا أنت خاسر
 ويصطخب الأذى فيك كأنما
 اصطخابك من حكم المنية ساخر

وتشف هذه الحواطر والمشاعر التى تدور حول البحر
 عما يعنى الشاعر من مشكلات ، وما يمور فى نفسه

من هموم .. فهو ممتلىء النفس بذخائر الفكر والفن، وهو واقف وقفة العجز والتأمل أمام المطلق ، وأمام الحياة والموت والخلود ، وهو مستخرج من ظواهر مده وجزره بعض العبر التي تبسط دائرتها على حياة الشاعر ، وتبعث الى نفسه الكليمة بالتأساء :

تنهات بك الأمواج وهى نوافر
وجاءت بك الأمواج وهى ثوائر
كان بها عجز المشيب اذا اثنت
وعزم الشباب الفر وهى بواذر
فتم نومة الظل البطيء مسيره
وثب وثبة الغضببان حين يساور
فيارب حلم خامل البطش هادىء
ضمنت وجهل شره متطاير

الى آخر ما فى القصيدة من لفتات ذهنية ، وتأملات نفسية ، وهموم اجتماعية .. تومى بها القصيدة، وتعرضها من خلال أسلوب يتوتر أحيانا ويمتلىء بالحركة والانفعال وكان القارىء فى خضم هذا البحر ، وبين فوائر أمواجه حيناً ، وأمام جبروته الخالد ، ولانهائيته المثيرة ، متأملاً مستعبراً ، حيناً آخر .

ومثل هذه القصائد تبقى فى اطار كلى ، وتتحقق بها الوحدة العضوية ، ما دام كل بيت فيها يعيش فى وهج

التجربة • وليست بها نتوءات نفسية أو فنية ، فليس هناك صنعة بديعية قصدت لذاتها •• تعوق نمو التجربة وتنحرف بنفسية القارئ عن وهج التجربة ، وبؤرة اشعاعها ، وليس هناك تشتت في التجربة أو تزيد في الفكر أو الحيال •

الوحدة العضوية هنا مرهونة بصدق الشاعر ، وعمق تجربته ، وجودة أدائه ، وهي تشع في القصيدة ، وتسرى في أطرافها •

وهي - الوحدة العضوية - في مثل هذا النسق الذاتي من الشعر • فرض نقدي ، يحس ولا يلمس ، ويتلمس في بواطن القصيدة ، ولا يعثر عليه في شكلها الخارجي •

وهذا النسق الفني يتضح في قصائد :

وصف البحر - معان لا يدركها التعبير - الجمال
المتشود - الى المجهول - خطوة عن عالم الحس - عصفور
الجنة - الحسن مرآة الطبيعة - حكمة التجارب - كلمات
النفس - خميلة الحب - عيون الندى - ربما -
الصحراء - الغابة •

الثاني : النسق الموضوعي :

فالقصيد هنا ليست صوت الشاعر ، وليست غنائية روحه المتدفقة بأشجانه وأفكاره ، إنها مخلوق

مستقل عن ذاته ، له حياته الخاصة ، وكيانه المتوحد ، وفيه
تتحقق - ضرورة - ما نسميه في نقدنا الحديث بالوحدة
المضوية .

وقد كان الشعاع من أوائل الذين كتبوا هذا اللون
الشعري ، سبقه مطران وسبقهما شبلى الملائكة الشعاع
اللبائى التقليدى الطابع ، واشترك معهما غيرهما حتى
شوقى فى حكاياته عن الحيوان ، وكان شاعرنا ، كما ورد
فى عبارة دقيقة للعقاد ، قد « تسنى له أن ينظم الكثير من
القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشيع نظم القصص
فى أدبنا الحديث » .

وقد رصد الاستاذ العوضى الوكيل فى كتابه
« الشعر بين الجمود والتطور » هذه الظاهرة فى شعر
مدرسة الديوان ، وأحصى لكل منهم مجموعة من قصائده
القصصية . . . ولذلك فإن من الغريب أن يضع ناقد هذا
الملح فارقا بين مطران وبين مدرسة الديوان ، حين يقول
الدكتور مندور : « نرى مدرسة الديوان تتميز عن مدرسة
مطران من ناحية الذاتية والكوضوعية ، فمطران رائد
الشعر الموضوعى الحديث فى اللغة العربية ، وذلك بفضل
روائع قصائده المطولة فى القصص الذى يمزج بين الوصف
والدrama والتصوير ، بينما تجنح مدرسة الديوان نحو
شعر الوجدان الذى تطفم عليه شخصية » . اعر ، وتلون

الموضوع كله بأحاسيسها الخاصة ، أو تستخدمه للتعبير
عن آرائها الشخصية .

فهنا يتمثل شعراء مدرسة الديوان مع مطران ،
فى وجود هذا النسق الشعرى الموضوعى فى دواوينهم ،
ويتمثل مطران معهم فى وجود النسق الغذائى على كثرة
فى ديوانه الكبير ذى الاجزاء الأربعة ، ويفوقهم مطران فى
شعر الاخوانيات والمناسبات مما لا يتفق مع التجديد فى
شئ ، فهو شعر موغل فى تقليديته ، موغل فى تنكره
لفلسفة التجديد الشعرى . وقد كان شكرى فى هذا
الصدد أنقى أولئك الشعراء جميعا . فقد خلا ديوانه من
الزلفى ، ومن السير وراء الجنائز والتصفيق فى حفلات
الزفاف ، وقدس مسئولية الفكر والاحساس والثقافة ،
وقال عن الشاعر :

» لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية فى بيوت
الامراء ، ولكنه اليوم رسول الطبيعة ، ترسله مزودا
بالنغمات العذاب ، كى يصقل بها النفوس ويحركها
ويزيدها نورا ونارا »

(٢٨٧)

أما ما ينضوى تحت النسق الموضوعى من مختاراتنا
فهو القصائد :

الباحث الأزلى - غلام مريض يكلم أمه - ليتنى

كنت الها - الشاعر وصورة الكمال - الصنع والكسب -
قوة الفكر - كسرى والأسيرة ٠٠

- في هذه القصائد ابتعد شكرى عن بساطة التكوين
الفنى فى القصيدة الغنائية ، وعكف على تكوين شكل
مركب ومعقد ، من جزئيات محسوبة على العمل الفنى ،
فبها ينمو ، وبها تكتمل ملامحه فى نفس الملتقى ، وتبرز
فيه مهارة الفكر والخيال لدى شاعرنا ٠٠ حيث يكتب
القصة ذات النهاية المفتوحة ، وذات الإيحاء البعيد المثير
لخيال القارئ وذكائه ، كما فى قصته « كسرى والأسيرة »
فقد أغار كسرى على بعض القبائل العربية ، وعاد وبين
أسلابه بدوية جميلة ، وقد استكان العرب للعدوان ،
زهبة من كسرى وجبروته ، وأراد كسرى أن يلهو بالنصر ،
وأن يستمتع بالأسلاب ، وأن يعكف على تلك العربية
الفاتنة ٠٠ فتأبت ٠٠ فبذل من وعوده ووعيده ما يخلب
الأسباب ، فزادت صلابة وامتناعا ، فعرضها للهوان ،
فأرسلت صبيحة اثتفضت على أثرها الصحراء :

« قيدونى ، غللونى ، ضربوا

موضع العفة منى بالعصا »

فأتاهم نبأ من قومها

أنهم عافوا لذاذات الكرى

أو تجول الحرب فى ميدانها

كمجال الطيش فى عهد الصبا

أو يكون السيف فى أعدائهم

مصلًا يودى بهام وطلا

وينهى الشاعر قضيته عند هذه الانتفاضة ، أما
ماذا فعل العرب فى انتفاضتهم هذه ، فهذا ما يتركه
شاعرنا لخيال القارئ ، مكثفيا بالايحاء فى تصوير هذه
الانتفاضة الغاضبة بمسارها الى النصر ..

وفى قصائد أخرى من ذلك النوع القصصى ،
يصل الشاعر الى تكوينات فنية أخرى ، والى مهارة فى
التكنيك يعرفها الفن القصصى .. فيستغل توزيع
اهتمامات القارئ على جوانب القصة بنسب معينة طبقا
لمتطلبات الايحاء النفسى ، ويستخدم التقديم والتأخير ،
وعنصر التشويق ، والمفاجأة ، ولحظة التنوير ، والمراوحة
بين الرواية والحوار والتصوير .. الى غير ذلك مما نجده
مبتوثا فى تلك القصائد .. حيث يتسع مجال الرؤية
الشعرية ، وينقسخ مجال الابداع ..

ولنضرب المثل بقصيدته «ليتنى كنت الها» ومحورها
احساس الشاعر بفساد الكون ، ذلك الفساد الذى يتبدى
أمام كثير من الفلاسفة والمفكرين عبر مراحل التاريخ ،
أصيلا يتغلغل فى كيان الانسان ، ويسرى فى هشيم
حياته الاجتماعية ، بل يصعد به بعض الفلاسفة الى
النظام الكونى ذاته ، حيث يرون أن الحياة قد وجدت
بالصدفة ، وأن الكواكب معرضة دائما لاختلال قد يحدث

فجأة هنا أو هناك ، فيدمر الحياة على كوكبنا ، ويبدل العلاقات الكوكبية القائمة الآن والمعروفة لدينا بعض المعرفة الى علاقات جديدة لا علم لنا بها - فالكون عند هؤلاء تحكمه الصدفة ، والانسان منحور الداخل ، والاله غائبة حكمته عن الأذهان .. انه - فى بعض الهواجس - لم يدبر الأمر جيدا ؛ ويستمر الهاجس بانسان ما من بنى البشر « آه لو كنت الها .. لأعدت تنظيم الكون ، وتنظيم الحياة » .. والشاعر منذ اللحظة الأولى يقول :

« المقصود من هذه القصيدة تحذير الناس من نسبة الصفات الانسانية الى ذات الله ، أو أن يقيسوا قدرة الله بقدرة الناس ، ويقصد أيضا السخر بالذين ينتقدون نظام الكون ويزعمون انه لو وكل اليهم أمره لأصلحوه » .

وهناك ثلاثة مواقف انسانية ازاء الكون والحياة بصورة عامة :

أولها : موقف الرضاء التام ، والتسليم الكامل بما كان وما يكون ، دون الحاجة النفسية الى التساؤل ، أو القلق لما فى الحياة والكون من مظاهر الاضطراب .. وهذا موقف غريزى ، وسيروية حيوانية فى الحياة .. كما تسعى السوائم بفرائرها لا تسأل ولا تنتظر جوابا .

ثانيها : الرضاء التام عن فلسفة واقتناع عقلى ووجدانى ، ينتهى الى تفهم خاص للكون ؛ فالكون أكبر

من الانسان ، وهو دليل قدرة وعناية ، والحياة تتكامل
بنقائضها ، فالنور متصل بالظلام ، والخير متكامل
بالشر ، والعدم مظهر للوجود .. وهذا جماع موقف
المتصوفة والمتدينين ، وهو يضرب بجذوره فى أديان الهند
القديمة وعقائد الشرق الاولى ، كما يسرى فى تعاليم
الأديان السماوية .

ثالثها : موقف الشك والارتياب من طلسم الحياة ،
وغلبة الشر ، وهوان الانسان .. وهو موقف غاضب
أحيانا على كل شيء ، ومتسائل دائما ، ومفترض طرقا
للإصلاح ، واجاباب للتساؤلات .. وهو موقف كثيرا
ما يتخطى الواقع ، ومنه تنبع أحلام الثوار ، وتورق
أشجار الفكر التقدمي ، ويتجاوز حدود ما هو كائن
الى ما ينبغى أن يكون .

والى هذا الموقف الأخير تنتمى قصيدتنا ؛ ولو أن
الشاعر - مشدودا الى أمراض اجتماعية معينة يعرف
ضراوتها من درس المرحلة التى قيلت فيها هذه القصيدة
أوائل القرن العشرين - حاول أن يلحقها بموقف التدين
الاجتماعى العام ، وجعلها نعيًا بسيطًا على الطموح البشرى
الذى يريد أن يصعد الى أكثر من قدراته .

فالشاعر منطلقا من الثورة على الفساد البشرى
العام يتصور نفسه الها ليصلح الكون والحياة .. وعندما
يتم له هذا الحلم يبتدىء أعماله الالهية بالقضاء على

الشر ، وإشاعة الحنان والرحمة بين البشر ، وأغفائهم
من أعمال العبادات حيث لا حاجة إليها ، ثم الحياة في
بحبوطة ومسرة واستمتاع مع رحمة الملائكة الغر :

ليتني كنت في السماء الها
نافذ الأمر في شئون الوجود

فأضم الوجود بين جناحي
وأسطو على الشقاء بجودي

ثم أحنو على الأنام كما يحنو
شفيق على الرضيع الوليد

ليس شري عليهم بهتون
إنما العدل آية المعبود

إن وعدى لديهم خير وعد
ووعيدى بالشر غير وعيد

ليس حكى عليهم بشديد
وقيودى لديهم بقيود

وندامى في الملائكة الغر
حسان من الطباء الغيد

مجدوني حتى عطفت عليهم
فاستراحوا من ضجة التمجيد

هم أجادوا المديح والنغم العذب ،
فأغفوا من ركعة وسجود

ويحيى الاله حياة مرحة ، فهو شخصية ضحوك ،
يطل على عباده من ثقب سمائه ، ويشاهدهم فى سرائر
حياتهم ، ويستملح عرى نسائهم ، فيغرق فى الضحك
هو وملائكته - وقد أصبحوا ندماء ، وسار ليله -
ويحدث بضحكه جلجلة عظيمة تظنها النسوة المليحات
العاريات رعدا :

كم بعثنا اللحاظ فى غسق الليل
ولحظ الاله غير شــريد
فاذا الناس بين باك وضحا
ك ، ومضى من لوعة أو حقود
ورأينا فى مرقد الغادة الرو
د نساء حلين بالتجريد
فضحكنا حتى أفقنا من الضحك
وحتى حسيبته من رعودى

ثم استوى الاله على عرشه ، ومنح ذاته ومنح الحب
معه الخلود - حلم الانسانية المفقود ، وتفجرت من ذاته
مشاعر المحبة للجمال وللحياة ، فى نشيد عذب الايقاع ،
رائع الثبرة :

أنا والحب خالدا ، كلانا
ذو صيال ونشوة وجنود
هو تربى والكون طفل ولید
وسميرى ومسعدى وعقيدى

يا جمال الحياة من علم العشا
ق رشف اللمى ، ولثم النهود
يا جمال الحياة من علم الشا
عر وصف الهوى ، ونسج انقصيد
يا ضياء الحياة من علم الرا
سم رسم الضحى ، وورد الحدود
يا ضياء الحياة من علم الصا
نع صنع الدمى الحسان الغيد

يستنيم الاله للهو ، وينشر غلالة من المحبة والحنان
على جميع البشر ، فيستفيق الشر فى النفوس الآثمة ،
وتستخف بهذا الاله الهين اللين ، وتضاعدت الى عرشه
كلمات الهزء والاجترأ ، ثم طاف به طائف اليأس ، وثارت
حوله الخلائق حتى عزلته ، وهبط الشاعر الى بشريته ،
سافرا من هذا الحلم ، عائدا الى لسانه الرهيف وبيانه
الأخاذ .

أحسب أن عبقرية الشاعر - للحساسية الاجتماعية
المعروفة نحو تجسيد الاله - ومعاملته معاملة البشر - كانت
أقل انطلاقا ، وأدعى الى أن يؤكد للقارئ أن الأمر لا يعدو
هزل القول ، وأن هذا الطموح مخفق من أساسه ، فليس
فى طوق انسان اصلاح الكون ، وعليه أن يرضى بموقعه
من الحياة حيث يكون ، فالاله يعزل كما عزل السلطان

عبد الحميد ، وأى منا يمتطى صهوة جواد جامع قد يضيع
عمره هباء .

وقد صور شاعرنا الاله تصويرا هازلا ، وصور العالم
الأخر على غرار ما تصوره الميثولوجيا العربية ، حافلا
بلذائذ الحس ، وصور نزلاءه على غرار ذوى الجاه والسلطان
فى بلادنا ، فهم فارغون للذائذ ، مهيضو الهمم عن السعى
وراء عظامم الأمور ، حتى تستلين جانبهم الأحداث ،
وتوردهم موارد التهلكة .

أحسب أن شاعرنا وقد كان على ثقافة عظيمة ، كان
أكثر منا اطلاعا على الأدب اليونانى - مثلا - وكيف انطلق
من نقطة الاله البشرى ، أو البشرى المؤله - وهى نقطة
انطلاق شاعرنا - الى تأملات عميقة فى الخير والشر ، وفى
بواطن النفس الانسانية ، وأسرار الطبيعة والكون ، وقد
قصرت قصيدتنا هذه فى مثل تلك الجوانب ، وأحالت
ذلك البشرى الطموح الذى ارتقى الى عرش الاله ، وجمع
مصائر الكون بين يديه . . أحالة الى سلطان شرقى خائب ،
مهموم باللذة والفراغ .

قد نقول ان الشاعر يعتقد بلذات الحياة ، لذة الشراب
والاستمتاع بالجمال ، ويرى أنها لب الحياة ، وجوهر
الوجود ، وأن اخفاق الاله فى الاستمرار بهذه الحياة ، هو
نوع من ترصد الأقدار - حتى للآلهة - لكل ما فى الوجود
من مسرات . .

قد يكون هذا منطلقا فلسفيا جديرا بفكر شاعر
عبد الرحمن شكري ، وثقافته الرفيعة .

هل هناك ثغرة في التصوير الفني في قول شاعرنا :
عزلوني عن حكمها فكأنى
يوم ذاك السلطان عبد الحميد

فشبهه الأعلى بالأدنى ، والحق الأقوى بالضعيف
كما كان يقول القدماء - وهو بذلك لا يخدم الغرض
لفني حيث يراد بالتشبيه في مثل هذا المجال التقوية
التوضيح ٩ .

قد يريد الشاعر أن يضع الهه المصطنع في وضع
هون شأننا من السلطان عبد الحميد ، جريا على ما أكده في
نصائده كثيرة من أن الكل باطل ، وأن الانسان حين الشأن
حتى لو امتلك بأحلامه ناصية الكون .

قد يكون خيرا لنا أن نصغى أكثر من ذلك لوحى
الشاعر ، وأن نفتتح قلوبنا لعطاء كلماته ، وأن نرى أن
لباب الحياة - فيما يرى الشاعر - هو المتع الراقية -
الرفيعة ، وأن طبيعة الحياة حرية بأن تحرم الانسان من
هذا المطلب البسيط حتى لو وصل الى مصاف الآلهة .

غير أن الذى يغنيننا هنا هو اختيار الشاعر لهذا
الغالب الحكائى ، فصبوغا بهذه الصبغة الأسطورية ، موظفا

الجزئيات الصغيرة فى كيان كلى متكامل .. مازجا بين التصوير والدراما ، رامزا الى موقفه من قضية العلاقة بين الانسان والكون ، مارا بقضايا جزئية على أعظم جانب من الأهمية ، كقضية العبادات التى تعتبرها الأديان حجر الزاوية فى العلاقة بين الآله وبين البشر ، ومارا بقضايا الثواب والعقاب ، والصراع بين الخير والشر ، وبين القوة والحق .. الى آخر ما يمكن أن يوحى به هذا العمل الفنى الخصب ، من مشاعر وأفكار بجزئياته المتنامية ، وبشكله الموضوعى الموحد .

٢ - كلمة أخيرة عن اللبنة الجزئية عند شكرى .
انها ليست الصورة ، فليس العمل الشعري عنده مجموعة من الصور المتناثرة على بناء يعطى بكامله صورة كلى للتجربة الشعرية .. طبقا لما يشيع فى تعريف القصيدة المعاصرة .. وقد اريق حبر كثير عن سمات وخصائص الشعر الحديث ، وهو أنه يتكئ على التعبير بالصورة . غير أن خلو شعر شاعر مجيد كعبد الرحمن شكرى وكثيرين من أمثاله من الاعتماد على الصورة هو - بحد ذاته - دليل فعلى على تجاوز هذا الرأى دائرة الحقيقة العلمية .. فها نحن أمام أعمال فنية لا نستطيع اخراجها من دائرة الشعر ، بل الشعر الجيد الذى نحبه ونؤثره وننفعل به ..

ان شعر شكرى يعتمد على الفكرة الجزئية المتعانقا مع فكر أخرى ، والمتصاعدة بالعمل الفنى الى ذروته ..

ان تأزر هذه الأفكار وتشابكها يصب في نفس القارىء
شحنة غير منكورة من الانفعال . . ذلك أنها فكر ملونة
بلون الوجدان ، ونابعة من خفقات القلب ، ومصورة
لاحساس الشاعر ، وتجربته النفسية ؛ على نحو ما يقول :

إذا أنت لم تدر الربيع وسحره

ومن يلق مالا قيت ياقلب يسحر

ولم تسر ليل الصيف فى أخرياته

ولم تر صبحا كالغدير المفجر

وان أنت لم تهو النجوم وومضها

ولم تدر منها مخبرا أى مخبر

ولم تلتمس فى كل شئ جماله

ولم تهو وجه الحسن فى كل منظر

فكن حجرا لاحس فيه للامس

عديم الحجبى ، ملقى باكناف محجر

(٢١٨)

وهكذا نجد فى قصائده الجياد مجموعة من الفكر
الجزئية ، تشابك وتصاعد لتصب فى نفسك ذات الاحساس
الذى مار فى نفس الشاعر . . وليكن مثالنا الأخير - على
منه الظاهرة ، لأهميتها - من قصيدته « الجبل » :

عليك اعتراك للعواصف رائح

وبرق ورعد طى سحب مواطر

و أنت وقور لم ترع من رعودهما
 ولم تتهيب دورة للدوائر
 يغير مر الدهر حيا وهامدا
 سواك فهل أوقفت خطو المقادر
 فيا ملكا برد الجليد كساؤه
 ومن فوقه تاج النجوم الزواهر
 تشاهد جيلا بعد جيل كأنما
 تمر بك الأجيال مر العساكر
 ترى مولد الدولات ثم مماتها
 وتبصر مجد اليوم بعد الغواير
 خلطت بك النفس الطموح الى العلا
 ومرأى جلال منك ملء الجواير

(٦٠٨).

ولربما قيل ان هذه الأفكار الجزئية لبنات فى تكوين
 الصورة الشعرية ، وان تأزرها وتشابكها هو نحو من
 تأليفها ، وتجميع أجزائها ، وانها بهذا - فى النهاية -
 لا تخرج عن كونها صورة شعرية وان اختلف مصدر
 تكوينها ؛ فكما نرى لدى شاعر آخر ان الصور الشعرية
 تستقى عناصرها من الطبيعة أو من الحياة ، فما الذى يمنع
 أن يكون الفكر مصدر الصور الشعرية عند شكرى ..

بهذا يسلم رأى القائل : ان الشعر بناء صورى
 .. ونحن نعرضه على القارىء ليخيل فيه بصره وبصيرته .

(ب) فى التجارب والقضايا :

قلنا ان المضمون الرومانتيكى يمد جذوره الى شعر عبد الرحمن شكرى ، وانه لا يبتعد كثيرا فى رهافة حسه ، ومواقفه من الحب والطبيعة والمجتمع عن نظائره من رومانتيكى القرن التاسع عشر ، الذين أدمن قراءتهم ، ولعل ابن الرمى وأبا العلاء - وهما أكبر شاعرين تأثر بهما شكرى - لم يكونا بعيدين عن مواقف الرومانتيكيين ، ففى شعرهما تمرد على الحياة ، وسخط على المجتمع ، وضيق بالكون ، ومحاولات للثورة على الفكر السائد ، والمواضعات البالية ٠٠ وفى ابن الرومى هذا النفور من الناس ، والخوف منهم خوفا يكاد يكون مرضيا ، مع نوازع الطيرة ، وهو اجس الظنون ٠

ولكن شكرى ككل شاعر أصيل ٠٠ يتميز بطابعه الخاص ، ويترك بصمات نفسه وفكره على هذه المواقف ، فيحاول - جاهدا - أن يسبر غور نفسه ، ويقف ذاهلا أمام المطلق ، ويعشق عشقا عميقا ورائعا كل مظاهر الطبيعة ويحب المرأة محبته لأفراح الحياة ، ولاسمى مافى الوجود من متع روحية ، ويمزج بينها وبين مظاهر النضارة والاشراق ، ويفكر فى هموم المجتمع ، ومأساة الحياة ٠٠

وفيما يلى نلم ببعض هذه الملامح ، فقد تكتمل - بين يدينا - صورة الرجل وفنه ٠

١ - فى النفس الانسانية :

يعانى الشاعر من رهافة تجاربه النفسية ، وعمق احساسه بها ، وضآلة الأدوات التعبيرية التى تعجز عن اقتناصها ، فثمة مفارقة دائمة لدى شكرى - كما نجد لها لدى كثير من كبار الكتاب والشعراء - بين التجربة النفسية والتعبير الفنى عن هذه التجربة ، على نحو ما يقول توفيق الحكيم فى زهرة العمر : « ان مصيبتى هى عجزى عن اخراج ما فى نفسى كما تصورته لأول مرة ، ان الفكرة لتتكون فى نفسى ، وتنمو وتمتد وتتخذ شكلا منظما فى رأسى ، بل اننى لأنفق أياما فى بناء الأشخاص فى مخيلتى ، وترديد ما يقولون من كلام ، وما يتحاورون به من حوار ، ولا يبقى الا أن أمسك بقلم لأضع على الورق هذه الحياة الزاخرة النابضة فاذا - وا أسفاه - شئ بارد باهت ، كالجثمان الهامد ، هو الذى يخرج » .

وقد صور لنا شكرى هذا الأسى المرير الذى يحس به الشاعر وهو يرى فى نفسه معانى غائرة ، يحس بها على نحو واضح ورائع ، ولكنها تند عن الخضوع للوسائط التعبيرية ، وصحيح أننا نفكر بالالفاظ وأن مالا نستطيع أن نعبر عنه لا وجود له فى عالم الشعور ، ولكن اللاشعور فى النفس الانسانية أرحب مجالا ، وأعمق مدى من دائرة الشعور ، وهو زاخر بفيض من المشاعر والأحاسيس ، التى تطيف بالانسان أحيانا ، ويحس مرورها فى حنايا ذاته ، ولكنها تفر منه كالظلال الهاربة :

كم معان يود لو صاغها المرء وحلى بها وجوه البيان
هى ملء الضمير لم يبلغ اللغظ مداها ، ولم تذللها المباني
لما رام أن يعبر عنها أنفت أن تنال بالأذان
نهى عذراء لا تحن لنساء وهى عذراء لا تلين لدانى

وشكرى يحاول أن يقرب لنا هذه المعانى حين يشبه
وجودها فى النفس بحلول النفس فى البدن .. فالإنسان
- منذ الأزل - يستشعر أن له روحا ، وتقر الأديان ،
وكثير من الفلسفات بوجود عالم الروح منفصلا عن عالم
الجسد .. وترى أن الروح تحل فى الجسد عندما يتم
خلقه ، وتفارقه عند الموت ، على نحو ما يقول ابن سينا فى
قصيدته الشهيرة :

نزلت اليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تدل وتمنع

واذا كنا فى فكرنا الحديث - آخذين بمختلف
وسائل الاستبصار العلمى - نتجه الآن الى البعد عن هذه
الازدواجية فى تناول الذات الانسانية ، بل فى تناول
شتى الظواهر فى الحياة والكون ، ونرى وحدة الظاهرة
المادية والمعنوية ، وأن المادة والروح ليسا نقيضين ، بل
مظهرين من مظاهر « الطاقة » فحسب ، فان وسائل
التصوير البياني ستظل فى حرية من التحدث عن الروح
والجسد ، كما تتحدث عن وجيب القلب ، وجمال القمر ،
على نحو ما يقول شكرى :

نزلت في النفوس منزل صدق كنزول النفوس في الأبدان
وتأبت عن قاصر الحق باللفظ ولو كان واسع التبيان
هي جزء من النفوس وهل تبدو نفوس لمدرک بالعيان
(١٢١)

ويبدو أن شكري كان يرى ازدواجية الوجود
الانساني ، وأن الانسان جسد وروح ، أو نفس تحل
بذلك الجسد ، وأن ذلك لم يأت هنا في معرض التصوير
البياني فحسب ، لعلاقة المعاني الخفية بنفسية الشاعر ،
بل صدر عن اعتقاد بحقيقته ، كما تجده واضحا في
شعر شاعر مهجري معاصر لشكري هو نسيب عريضة ،
حيث امتلا شعره بأحاديث انقسام ذاته الى جسد وروح
وعقل ونفس ، وأقام حواريات بين هذه القوى المختلفة
من قوى الانسان .. وكان يحس بتوزع ذاته فيما
بينها ، وبتجاذبها لوجوده ، ويحار في اختياره بين
متناقضاتها .. أى قوة يختار ، وأى طريق يتبع ، طريق
العقل بقياسه الدقيق ، وتجرده الرياضي ، أم طريق
العاطفة الجياشة ، والتفتح الرحب على الحياة ، أم طريق
الجسد ، بلذائذه الحسية ، ورغابه الواضحة ، أم طريق
الروح بتساميه وتنزهه ، واستعلائه على العقل والعاطفة
والجسد جميعا .

وقد لفت أنظار النقاد تبكيت نسيب عريضة لنفسه ،
وتوبيخها على رغابها التي لا تنتهي ، وطماحها الى مالا يملك ،
ولدى شاعرنا شكري قصيدة على هذا النحو ، هي

قضيده « سجو النفس » (ص ٢٩٦) تذكرنا بكثير من
شعر نسيب :

أهبت بحزمي فلم تسمعي وعفت الطماح فلم تردعي
فيا نفس حتام هذا الطموح وخير المسكاسب أن تقنعي
هممت بكسب فلم تبلفي ورمت الكمال فلم ينفع
وخفت المقادير في ظلمها وأشقاك يانفس أن تخضعي

أليس هذا ما قاله نسيب عريضة :

حنانك نفسي أطلت الأنياس رويدكا ويحك اكم تشتكينا
وكم تستغيثين ، ماتطلبينا؟ كفاك احتباطا ألا تعبيننا
أيا ناثره

أعيرى الحياة التفاتا قليلا وكوني إذا العيش أضحي ثقيلا
وأحیی بلطفك جسما عليلا وكوني إذا العيش أضحي
له ناصره

تظلين حائرة واجمه على العيش ناثرة ناقمة
فهلا صبرت الى الخاتمة فليست حياتك بالظالمة
ولا الجائرة (١)

وليس معنى هذا أن شكري تائر بنسيب - ومحاسبة
النفس نزعة أصيلة عنده - فكل منهما يشكو لأواء نفسه ،
ويعانى من نوازع الحيرة والقلق والتشوف الى المجهول .
وإذا كانت لدى نسيب عريضة بخاصة ، من بين

(١) نسب مريضة . «الارواح الحائرة» ص ١٠٤ .

شعرائنا المعاصرين جميعا ، قصائد خالدة فى الحوار بين
قوى النفس ، ومحاسبتها ، وتصوير تطلعتها ، من بينها
مطلته «على طريق ارم» التى يحاول فيها أن يستهدى العقل
والقلب والنفس والجسد - وهى قوى الذات الانسانية
لديه على نحو ما أشرنا- الطريق نحو الغد المجهول ، متشوقا
الى عالم الكمالات الأمثل ، منتهايا الى أن الحياة الأولى
للإنسان ، بقيودها الصارمة ، وضرورتها المنتقصة من
قدراته ، وحدودها المتناهية ، ليس فى طاقتها أن تمنح
الإنسان الطريق الى هذا العالم المثالى ٠٠ وإنما الانعتاق
من هذه الحياة هو المعبر والطريق :

صاح قل : هل ترى فوق أوج الذرى
بارقا قد سرى ما وراء الحدود
تلك نار الخلود

تلك نار تشيق كل طرف طليق
هل اليها طريق غير درب اللحدود
اذ تحل القيود

على أن هذا العالم والمثال - فيما يرى الشاعر - هو
- وإن كان سبيلا للسعادة - طريق الى فناء الإنسان فى
المطلق والخالد ، وعودته جزءا من الكل ، على نحو ما يقول:

تلك نار القرى والجياح الورى
من اليها سرى ما أزام يعبود
بل سيفقد الوعود

وتلك هى فلسفة عودة المتناهى الى اللامتناهى التى عرضها فى نثره وشعره ميخائيل نعيمة ، وألم بأطراف منها جبران ، واعتنقها معا مما ترامي اليهما من فلسفات الشرق القديمة ، وبخاصة فلسفة النرفانا الهندوسية - أى فناء الذات الانسانية فى براهما - التى ترى اكتمال دورة الحياة بعودة الجزء الى الكل ، واتحاد المحدود بالمطلق ، بعد تطهيره بالمرور فى حيوات مختلفة .

واذا كان مايسمى بشعر الاستبطان النفسى قد وصل بنعيمة وجبران وأبى ماضى ونسيب عريضة الى اعتناق عقائد وفلسفات واضحة .. وتفرعت عنه مجموعة هامة من الآراء - فى شعرنا المعاصر - فى قضايا مبدأ الحياة ومصيرها ، وكنه الوجود والحياة بعد الموت ، ثم فى فلسفة الخير والشر ، والثواب والعقاب ، على الجمية فى كل الأبعاد الشعورية والفكرية التى كانت محور الأديان ، ومحور الفلسفات الشرقية القديمة ، كما كانت من أهم مجالات الدراسات الانسانية المعاصرة ..

فأين يقف شاعرنا عبد الرحمن شكرى فى خضم هذه التيارات العاصفة .. ؟ .. هل كان محور الشعر النفسى عنده ذاته القلقة المتوترة المثألة المحدودة بعالمها الفردى الخاص .. أم تلك الذات العميقة ، التى يحس الانسان - على نحو ما يصور الشعراء العظام - أنها صورة مصغرة من الكون والانسانية .. تحمل التشوف العظيم الى المطلق ، تعاني - على نحو انساني - مأساة الوجود ،

وتتردد في حناياها أرجاع الألم البشرى المدمر والخلاق معا .
لقد أشرنا من قبل الى أن الأعراض النفسية الزائلة ،
والأوهام العابرة - التي تكاد أن تكون ظواهر مرضية
خاصة - والتي لا تتصل بجوهر النفس الانسانية في
عموميتها وشمولها قد استنفدت الكثير من شعر شكرى ،
وقد عبر عنها في عجلة وفي كثرة لم تترك لها قيمة فنية
تبقى . .

والاعتراض على قيمة هذا الشعر لا صلة له - من
قريب أو بعيد - بفرض مشكلات نفسية على شاعرنا . .
فللشاعر أن يصور نفسه كما يجدها . . لكن للتقييم
الأخير لعمله الفني رأيه . . حين يقدر المشكلة ذات الجانِب
العام ، وذات الصلة الشمولية بكل نفس انسانية ، وذات
المساس بما يعنى الانسان منذ القدم ، وسيظل يعنيه ،
من قضايا الوجود .

ولشكرى مجموعة من القصائد التي تناولت النفس
في جانبها العام ، والتي حاول فيها أن يصل الى جوهر
ذاته ، وحقيقة الصلات بينها وبين أطراف الوجود .

فنراه أحيانا يقف على مشارف اللا أدبية . . معترفا
بالعجز الانساني عن الوصول الى الحقيقة ، موقنا بأن
الحياة الانسانية خدعة كبرى ، ما على الانسان الا أن ينقض
يديه من البحث في أسرارها ، آخذاً شئون حياته باللين
والمداجاة :

عشت في كل ساعة أبد الدهر
 وعالجت نضرة وذبولا
 ورمتني الحياة بالحلو والمر
 فطورا رغدا وطورا وبولا
 ورفعت الستار عن خدعة العيش
 وقهقهت ، وانتحبت عويلا
 وصحبت الحياة في حالتها
 وخبرت القنوط والتأميلا
 واعد الأنام قصة من ما
 ت فكانوا قاييل أو هابيلا
 ما ترى الناس في الحياة حيارى
 ضل من كان عالما أو جهولا
 لا تعنى بامرها النفس يوما
 فتصير الحياة فيك كبولا
 ثم لن للزمان ما اشتد واجعله
 اذا لان نجفة ومقيلا
 ان يكن ينفع البكاء فانا
 قد بكينا على الحياة طويلا
 ورأينا الحياة من كل وجه
 وعشقنا كمالها المستحيلا
 ورجعنا الى الحقائق حتى
 لم نعد نحسب الخيال جميلا
 (ص ٢١٤)

غير أنه في هذه القصيدة ذاتها ، وهو يحاول أن يكون متفائلا ، وداعيا الى أخذ الحياة بالملاينة ، وترك الفكر ، وعدم تعنية النفس بالتساؤلات التي لا تنتهي الى غاية ، يجد نفسه مدفوعا - وكان ذلك قدر الانسان الدائم - الى التساؤل عما يخبئه الليل من أسرار ، وما يسدل على الحقائق من حجب :

مالهذا الليل البهيم حزين
مطرق يبحث الحياة طويلا
سل عيون الظلام ، أنجمه الغر
أما آن حزنه أن يزولا
أحدادا على الوري يلبس الحالك
من جنحه يثل أليلا (١)
أم لأمر مخبا في حشاه
لم يدان ألبابنا والعقولا
أم سيديل يخفى المقادير عنا
وستار فقد مللنا السديلا
(ص ٢١٥)

ويعتد شكرى بعالم الحس ، ويرى أن بعد الانسان عن الاستهداء بخواسه سبيل الى فقدائه لعالم الحقيقة . . ولعل هذا غريب من شكرى الذى نفر من الحياة الاجتماعية وتآلم من معاصريه أعظم الألم ، وتحدث عن شرور الناس وأحقادهم ، ومع ذلك فلم يقم عالما خياليا لسعادته ،

(١) اليل الليل : ما يتخيله المرء من الاثنين في سكونه التام .

ولم يصطنع من الخيال والحلم ، أو أى وسيلة من وسائل الاستعلاء عن الحياة ، طريقا الى التعرف على الحقيقة ، بل ظل الحس هو السبيل الأمثل فيما يرى :

خطوة لا خطوتها أبد العمر
خطت بي فى عالم الأرواح
أخرجتنى من عالم الحس حتى
خلت أنى أقضى بحنى المتاح (١)
غاب عنى الوجود واسشعر الحس
اغترابا عن صرف دهرى الوقاح
فعرانى القنوط من صولة الموت
وما لاح فى رباه الفساح
وابتغيت الطريق أرجع للحس
فأشفى به أوار التياحى (٢)
(٤١٩)

ويظل تلفت شكرى الى نفسه ، والى ما يحسه من عمقها ورحابتها ، والى ماتعانيه من قلق ، فى مشاهدته للطبيعة بمختلف مظاهرها ، وفى تشوفه للمطلق ، وفى تلمسه للحب ، ومناشدته للموت ، ومن ثم فإن الحديث التالى عن شكرى لن يبعد كثيرا عن استجلاء نفسه ، التى

(١) الحين : الاجل .

(٢) الاوار : مرارة العطش .

كان شعر شكري ، فى مختلف اتجاهاته تلك ، وثيق
الصلة بها ، فامام المجهول كان ينشد :

أقضى حياتى بنفس لست أعرفها
وحول الكون لم تدرك مجاليه
(٣٩٨)

وتجاه الطبيعة كان يقول :

وما النفس الا كالطبيعة وجهها
رياض وأضواء بها وبحور
وفيه صراخ اليم ان ما ج موجه
وفيه خريز خافت وغدير
وليل واصباح لها وكواكب
تسير بأفاق بها وتدور
اذا كنت فى روض فقلبي طائر
يفنى على أغصانه ويطير
وان كنت فوق البحر فاقرب موجة
تسرب فى أمواجه وتسير
وان كنت فوق الشم فالقلب نرها
وللنسر فى شم الجبال وكور
وتنثر أغصان الخريف زهورها
كما جاء بالشعر الجليل شعور
(ص ٢٢٦)

وكان شكري لا يرى «الطبيعة» فى اطار منفصل عن

الحياة البشرية عامة ، بل يراها من خلال نفسه ، ومن خلال
الحبيبة ، مازجا خفايا النفس ، وجمال الحبيبة ، بما
تستثيره الطبيعة من أعجاب ، وما ترمز اليه من مطلق ..
فالنفس - لديه - كالطبيعة ، والحبيبة أيضا مرآة كونية:
أنت مرآة ما يجيء به الكون

من الحسن .. بكرة وأصيلا
فأرى في الصباح منك ضياء
وأرى في المساء منك ذبولا
وأرى فيك للظهرة حبرا
وأرى فيك نسمة كليالي
الصيف حيث التسيم يسعى عليلا
وأرى منك في الخريف شبيها
ثمرا يانعا ، وزهرا جميلا
(ص ٢١٦)

ومن هذا نرى أن الحديث عن الطبيعة في شعره ربما
يكشف الكثير من ملامحه النفسية ، بل من فكره النفسي
إذا صح التعبير .

٢ - عن الطبيعة :

في شعر شكري فيض زاخر من الحديث عن الطبيعة،
في مشاهداتها الجميلة الرائعة كالبحر والصحراء والفاة
والشلال والجبل ، وغيرها من مظاهر قوة الطبيعة وعظمتها،

وفي مشاهدتها الدقيقة الأسرة كالفراششات والزهور
والعصافير والجداول الرقراقة ..

ومن وراء كل ذلك عقل يفكر ويتأمل ، وبصيرة تجمع
أجزاء المشهد وتجسده ، وشوق ملح الى كشف أسرار
الوجود ، وإزالة حجبته ، فحين ينجى الغابة - مثلاً -
يتذكر الآباد والافق البعيد ، وغابر الأزمان : قد حكيت
الآباد ، كالبحر ، والصحراء ، من طول رضك الشجراء
وحجبت الافق البعيد عن الطرف فانسيت منتهى الأشياء
فكأن لا مدى لدوحك يرجى حين تدحى مطارح الغبراء
ورياح تشدو على ورق الدوح بالحن شدة أو رخاء
منطق لم يدع لنفسى شجونا لا يحاكى صفاتها في الغناء
ثم تبدو الفصون في هدأة الريح كناية معلق بالهواء
وكانى أصفى الى غابر الدهر وما كان فيك من أرزاء
ونجد مثل هذه الخواطر في قصائده الأخرى ، غير
أننا نحس أنه يضع المشهد الطبيعي - فى غالب الأحيان -
أمام باصرته ، ينجيه حيناً ، ويصوره حيناً آخر ،
كظاهرة خارجة عن وجوده ومنفصلة عنه ، فإذا قارنا
قصائده الكثيرة عن الطبيعة بقصائد جبران ونعيمه وأبى
ماضى ونسيب عريضة والقروى .. وجدنا هؤلاء الشعراء
يمتزجون بالظاهرة الطبيعية ، وتشف هي عن مشاعرهم
وأفكارهم ، ونراها محور فلسفة في الحياة ، ومصدر
تأويل لحرية الانسان وفضائله .. أما لدى شاعرنا
شكري فليست هناك فلسفة واضحة وراء كل هذه

القصائد الكثيرة عن الطبيعة ، والأفكار التي تثار حول البحر والغابة والصحراء أفكار عامة ، لا تكون اتجاهها فكريا ، ولا توحى بعمق في التأمل أو رحابة في الخيال .. فليس فيها ما يفجؤنا بعمق اكتشافاته النفسية ، ليس فيها تجسيدات باهرة من صنع الخيال الخلاق .. على نحو ما نرى في الميثسولوجيا اليونانية ، حيث نحس بالطبيعة ومشاهدها ، وقواها ، وأحاسيس الإنسان إزاءها ، من خلال التجسيد الفني ، والنسيج الحكائي ، الذي يصهر اللفتة الجزئية في رؤية كلية .. ويتيح للخيال الشعري فرصة الخلق والابتكار ..

لقد استفادت مدرسة الديوان كثيرا من المدرسة الرومانتيكية ، ولكننا قليلا ما نحس بعمق هذه الاستفادات ، كما نحسها في شعراء مدرسة المهجر .. فقل أن نجد في شعر شكري وزميلي هذه النظرة الكلية للطبيعة . وهذا الاحساس الشمولي بالكون ، وهذا التواصل العميق بين الإنسان ومختلف مظاهر الوجود ..

٣ - امام المطلق :

تحتل قصيدة « الى المجهول » مكانة فريدة في شعر شكري في تعبيرها عن توق الإنسان الى المطلق ، وقلقه من غماء الجهالة ، وهي تجمع كل ما تناثر من هذه الأحاسيس في شعره كله لتقدمه في صورة قوية ، مفعمة بالمشاعر الجياشة .. ويرى شكري أن الولوع بالمجهول

من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون ، والشغف باستطلاعهم وكشفه ، هو الذى أخرج الإنسان من غصون البداوة الى غصون الحضارة ، وهو الذى ما زال قادرا على تطوير الحياة الإنسانية والصعود بها فى مدارج الرقى .. (١) .

وإذا كانت هذه القصيدة تقف عند حدود التعبير عن الشوق الى المجهول ، والرغبة فى استكناه الغيب ، فى خواطر متتابعة ولكنها غير متنامية ، وغير مرتبطة على نحو عضوى بكيان القصيدة ، لأن القصيدة ليست مخلوقا متكاملا ، بقدر ما هى مجموعة من الفكر الجزئية ، وان كان يشع فى كل منها قدر من وهج التجربة ، فان لدى شكرى قصيدة أخرى قد جسد فيها هذا التوق الى المعرفة فى « انسان يعيش دهرًا بعد دهر ، فى كل حال وفى كل مكان ، حتى يملأ العطف قلبه ، ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة » (٢) واكتسبت القصيدة بهذا التجسيد والقلب الحكائى الذى تحرك فيه هذا « الباحث الأزلى » وحدة فنية تخلص القارئ من الإحساس بالملل الذى يعتريه أمام قصائده الأخرى التى تعتمد على توارد الخواطر ..

يبدأ شكرى قصيدته الأخيرة بهذا المطلع القصصى الذى يجتذبنا الى أجواء الرواية المشوقة :

(١) انظر ديوانه ص ٢٩٦ .

(٢) انظر ديوانه ص ٢٩٢ .

بينما كنت سائرا لاح شيخ
ذو سكون ونظرة هوجاء
ويكاد الضياء ينفذ منه
فهو بين الأنام صنو الهواء
باحث في السماء يطلب شيئا

غاب عن عين غيره في السماء
هو - اذن - انسان يقع بين الحقيقة والخيال ،
وقد نجد تناقضا في التعبير الجزئى بين السكون والنظرة
الهوجاء ، الا أن ذلك التناقض ينبعث عند شكرى من
لجونه أحيانا - كما أشرنا من قبل - الى المعاجم .. والى
عقلانية تكوين الجملة ، فصحيح عقليا أن يكون المرء ساكن
الأطراف وذا نظرة قلقة متوترة .. ولكن الإيحاء الشعورى
للتعبير يعارض هذه العقلانية .. ويرى أن صاحب النظرة
الهوجاء لا يوحى .. قط - بالسكينة ، وأن السكينة
شعور داخلى ، قد تكون النظرة الهادئة المفعمة بالرضى
أول المظاهر عليه .. لكننا نمضى عن هذه الجزئية الى
اكتشاف معالم القصيدة الكلية .. لنرى الشاعر مستمرا
في تقديم شيخه الينا :

كنت والكون في الطفولة أغدو
وشباب الأيام فى الغلواء
وصرعت المنون حتى لأنسانى

طول الحياة حكم الفناء
عشت دهرى بالبحث والأمل الحلو ولولاه لم أفرز بالنجاء

انه مخلوق الهى خالد ، هو ذاته ، أمل الانسانية «
ذلك الامل الذى يتجدد فى كل جيل ، وما تزيده الأيام
الامحبة فى المعرفة نشداننا للوصول :

انشد الحق بالتقلب فى العيش وأبغى سريرة الأشياء
يحدث الشاعر عن رحلته الطويلة .. منذ أن بصر
بالانسان طفلا ، وصاحبه فى مختلف حضاراته يعرف
ويعرف ويعرف .. لا ينتهى الى شئ محدد ، ولا يقف
عند غاية بعينها .. هو باحث أزلى ، وهو الانسان فى
نزوعه الدائم نحو المعرفة ، وفيما يرثه من كل الاختبارات
الحضارية الماضية ، كما يخاطب الشيخ الشاعر فى النهاية :

أنت أيضا شهدت هذا جميعا
غير أن لا تعد فى الفطناء
قال ما قال ثم غاب عن العين
كما يخفت الصدى فى الهواء

ثمة قصور فى تكوين القصيدة عند شكرى .. حتى
قصائده الموضوعية القصصية .. التى كانت قمينسة
بالتكامل الفنى ، لو استغل شكرى عناصر القصة ، وأجاد
توظيفها فى بناء قصائده ..

تبدأ هذه القصة باللقاء بين الشاعر وبين الباحث
الأزلى ، ويسؤال الشاعر : يا شيخ ما دهاك ؟ وما شأنك
بين الأموات والأحياء ؟ .. ثم يرد عليه الشيخ بأنه كذا
وكذا الى نهاية القصيدة .. فى اغفال تام للشاعر - الطرف

الآخر فى الموقف - وكان لم يكن له وجود ٠٠ دون استغلال
لعنصر الحوار ، وما يمكن أن يثرى به القصيدة ..

وبذلك تتحرك القصيدة فى مستوى تكوينى واحد ،
هو مستوى الغنائية البسيط ، دون أن تتضافر عناصر
الموضوعية على خلق عمل فنى مركب ، وعميق الدلالات ..

وختاما :

هذه صفحات من شاعرنا عبد الرحمن شكرى ..
تشير الى بعض الملامح فى حياته وفى شعره .. فلئن كانت
مقدمة لدراسته ، أو مثيرة وباعثة على هذه الدراسة ،
فى تفرغ لها واحتشاد .. فحسبها أن كان رائدها
الاخلاص .

والله الموفق .

عبدالرحمن شكرى

حياته فى سطور

- ١٢ من اكتوبر ١٨٨٦ ولد الشاعرن بمدينة بور سعيد
- ١٩٠٠ حصل على الشهادة الابتدائية .
- مايو ١٩٠٤ نال الشهادة الثانوية .
- ١٩٠٤ التحق بكلية الحقوق (مدرسة الحقوق) .
- ١٩٠٦ فصل من كلية الحقوق لشعره الوطنى ،
متهماً بالتحريض على الثورة لانشاده قصيدة فى احدى
المظاهرات مطلعها :

ثباتا فان العار اصعب محملا
من الذل ، لا يفضى بنا الذل للعار
- ١٩٠٦ التحق بمدرسة المعلمين .

- ١٩٠٩ . نال دبلومها بتفوق . وفى هذه
المدرسة التقى الشاعر بزميل فى الدراسة هو ابراهيم
عبد القادر المازنى فجمعتهما الميول الادبية المشتركة ،
وعرفه المازنى بالعقاد فتمت الصحبة للثلاثة الذين
نتج عن لقائهم ، واقتراب ميولهم ، وتشابه صلاتهم

بالادب الانجليزى ، وثورتهم على جمود الشعر والحياة العربية .. ما يشبه أن يكون مدرسة أدبية متحدة فى أصولها النظرية ، وابداعها الفنى ، وأسسها النقدية ، وهى المدرسة التى عرفت فى الدراسات الادبية اللاحقة بمدرسة «الديوان» نسبة الى كتاب «الديوان» الذى أصدره العقاد والمازنى عام ١٩٢١ .. وضم الاصول النظرية والنماذج التطبيقية لدعوتهم الى التجديد ..

١٩٠٩ . صدر الديوان الاول لعبد الرحمن شكرى «ضوء الفجر» فلفت الانظار الى شاعريته المبكرة ..

١٩٠٩ - ١٩١٢ ثلاث سنوات قضىها مبعوثا الى انكلترا ينهل من فيض الحياة والادب الانجليزى .. ويحس بالحضارة الغربية احساس تأمل ومشاهدة ..

٣١ أكتوبر ١٩١٢ حاز من جامعة شفيلد درجة B.A. فى الآداب .

١٩١٣ صدر ديوانه الثانى بمقدمة للعقاد .. يوضح الاسس الاولى لدعوتهم الى تجديد الشعر .

١٩١٦ صدر ديوانه الخامس «الخطرات» بمقدمة يعقب فيها على شعر المازنى ، ونقله لعدد من قصائد الشعر الانجليزى دون اشارة الى أنه يترجم ، موهما القراء أنها من شعره ، وختمها بقوله : ولو أنى رأيت عفرىتنا

لما عراني من الحيرة والدهشة قدر ماعراني لرؤية
هذه الاشياء ... ولسنا في قرية من قرى النمل
حتى تخفى ..

• • ١٩١٩ صدر آخر ديوان رأى النور في حياة صاحبه
«أزهار الخريف» •

• • ١٩٢١ صدر «الديوان» للعقاد والمازني ، متضمنا
هجومًا عنيفًا على شكري ، متهما إياه بضحالة
شاعريته ، واضطراب شخصيته ، والتياث عقله
بالأوهام .. فكانت صدمة شكري بهذه الحملة
فادحة .. ومن ثم بدأ - بجانب ارتيابه الاصيل في
النفس الانسانية - ينزوى عن الحياة .. ولا يظهر
له من النتاج الادبي الا القليل ، والا ما تخفى تحت
الحروف الاولى من اسمه ..

• • ١٩١٢ - ١٩٣٨ اشتغل بالتعليم في وزارة المعارف،
متنقلا في بعض المناصب وفي بعض البلدان ، حتى
آثر أخيرا أن يعتزل الخدمة .. وأن يعود الى مسقط
رأسه بورسعيد .. منضمًا الى أسرة أخيه حيث
لم يشأ في حياته أن ينشئ أسرة خاصة به .. بل
عاش وحيدًا ..

• • ١٩٥٢ أصيب بالشلل ..

• • ١٩٥٥ انتقل الى الاسكندرية

١٩٥٨ فى الساعة الثانية بعد ظهر الاثنين ١٥ من
ديسمبر عام ١٩٥٨ انتقل الشاعر الى رحمة الله ..

١٩٦٠ صدر ديوان جامع لشعر انشاعر .. طبع على
نفقة تلميذ محب للشاعر (عبد العزيز مخيون) وقد
جمعه وحققه وقدم له بدراسة جامعة مفيدة لتلميذه
الاستاذ الاديب نقولا يوسف .

بقى أن نقول : ان هناك متناثرا فى بطون
عديد من المجلات الادبية عديد من المقالات الادبية
لشاعرنا عبد الرحمن شكرى تنتظر دراسة خاصة
تكشف عما فيها من قيم فنية واصالة فكرية ..
وبذلك يوضع عبد الرحمن شكرى أمام انقارىء
المعاصر .. وضعاً صحيحاً .. شاعراً ومفكراً ..

قصائد مخمّارة

غلام مريض يكلم أمه

نماذج
من

خبريني أمي أين مت ماتت
نزعاتي اليكم وحيني ؟
والحسنان الذي أضرم به كل
قريب معاتق أو قرين
والضياء الذي ترين بعيني
أضئ سواد تلك المنون (١)
وهل المرء في المصايب غيب
أم هو المرء فيه غير غيب
عاهديني أن لا تعانني لموتى
حرقا تفيض ماء الشجون
واذا شئت فاجعليه رشاشا
ذلك الدمع، واجبسي من أنين (٢)

(١) ضياء العين : لماتها .

(٢) الرشاش : القليل من الماء أو الدمع .

فى قليل من البكاء بلاغ
 وكثير البكاء داء العيون
 لست ارضى لحر وجهك أن يز
 رى به من شحوب وجه الحزين
 لست ارضى الأضلع حملتنى
 أن تعانى حمل الاسى المكنون
 ولصدرك قد كان يحنو على جسمى
 فى المهد لوعة من شجون
 العصافير فى الرياض تغنى
 لا كجسمى تحت التراب دفين
 كنت فى العيش مثل هذى العصافير
 أغنى فى وكرى السامون
 فالاحت لى المنون بوجهه
 أى راء يرضيه وجه المنون
 ليس ما بى خوف الجبان ولكن
 خوف جهل لا خوف جبن وهون (١)
 كالماكان الخراب يبعث فى النفس
 خشوعا ودعة للظنين (٢)
 فهو يخشى وليس يعرف ما يخشى
 ووجه الفناء غير أمين

(١) الهون : الهوان والذل

(٢) الظنين : المتهم . ويبعث له رعدة لانه يذكره بجنابته .

عيون الندى

عيون الندى كوني على الزهر انه
يطل على العشاق منك ويشرف
فليس عيون الغيد أشعلها الصبي
باروع في لآلئها حين تعطف
ولا أطفأت منك الغزالة رونقا
على الروض جذلان المدامع يذرف
ولا زال مكسال النسيم اذا سرى
على روضة يحنو عليك ويرؤف
يهزك هز الظئر مهد وليدها
فلا المهد يشكوها، ولا هي تعنف (١)
ولا زال غريد العصافير واقعا
على الزهر يحسب منك ربا ويرشف

(١) الظئر : الموضع .

إلى المجهول

يحوطنى منك بحر لست أعرفه .
ومهمه لست أدرى ما أقصيه
أقضى حياتى بنفس لست أعرفها
وحولى الكون لم تدرك مجاليه
يأليت لى نظرة فى الغيب تسعدنى
لعل فيه ضياء الحق تبديه
أخال أنى غريب وهو لى وطن
خاب الغريب الذى يرجو مقاصيه
أوليت لى خطوة تدحو مجاهله
وتكشف الستر عن خافى مساعيه
كان روحى عود أنت تحبكه
فأبسط يديك وأطلق من أغانيه
والروح كالكون لا تبدو أسافله
عند اللبيب ولا تبدو أعاليه
وأكبر الظن أنى هالك أبدا
شوقا إليك وقلبنى فيه ما فيه

من حسرة وإباء لست أملكه
 يابى لى العيش لم تدرك معانيه
 وأنت فى الكون من قاص ومقترب
 قد استوى فىك قاصيه ودنيه
 كأننى منك فى ناب لمفترس
 المرء يسعى، ولغز العيش يدميه
 كم تجعل العقل طفلا حار حائره
 ورب مطلب قد خاب باغيه
 لو النبال نبال القوس مضية
 كنت أدريت بسهم القوس أرميه
 أو كان للسحر سهم نافذ أبدا
 لكان لى منه سهم صال راميه
 يا مصلت السيف قد فلت مضاربه
 ورامى السهم قد خابت مراميه
 قلبى يحدثنى ألا يليق به
 رضا بجهل ذليل اللب يرضيه
 قد ثار ثائر نفس عز مطلبها
 وطاز طائر لب فى مراقبه
 كالنسر لا حاجب للشمس يحرقه
 ولا الصواعق والأرواح تثنيه
 وأنت كالليل والأفهام حائرة
 مثل العيون علاها منك داجيه

ليل مهيب كليل البحر حنوده
 تكاد تسمع منه صوت طاميه
 فليت لي فكرة كالكون واسعة
 أدحو بها الكون تبدو لي خوافيه
 ليس الطموح الى المجهول من سلفه
 ولا السمو الى حق بمكروه
 ان لم أنل منه ما أروى الغليل به
 قد يحد المرء ماء ليس يرويه
 والقانون بما قد دان عيشهم
 موتى فان خضوع اللب يرديه
 يا قلب يهنيك نبض كله حرق
 الى الفرائث مما عز ساميه
 فالعيش حب لما استعصت مسالكه
 تجارب المرء تدميه وتعليه
 كم ليلة بتهها ولهان ذا أمل
 لم يسئل قلبي أن غابت أمانيه
 لعل خاطر فكر طارقي عرضا
 يدنو بما أنا طول العمر أبغيه
 يوضح الغامض المستور عن فطن
 وأفهم العيش تستهوى بواديه

خطوة عن عالم الحس

خطوة لا خطوتها أبد العمر
خطت بي في عالم الأرواح
أخرجتني من عالم الحس حتى
خلت أنى أقضى بحينى المتاح
غاب عني الوجود واستشعر الحس
اغتراباً عن صرف دهرى الوقاح
خلت أنى فى النوم أبصر حلماً
كيف أغفى والقلب يقظان صاحي
رحمت أسعى كمصحر بأن عنه الصـ
سحب فردا ذا وحشة واطراح
أو كلنى الجرم حين طال به السـ
جن يضل الطريق عند السراح
عالم غير عالم الحس أبغى
فيه عوناً على الصروف الشاح
حيث تبدو النفوس فيه جهاراً
عاريات من جسمها والوشاح

فنفسوس ملساء كالغادة انرو
 د وأخرى قد أدميت من جراح
 وأرى فيه كل أمر تقضى
 من سرور وخيبة ونجاح
 وأرى ما دفنت من خطرات
 وأرى فيه ما مضى من طمّاح
 وتكاد الأشباح يلمسها المرء
 لها جرس فرحة أو نواح
 وأرى أوجه الدهور التي فاتت
 كنت بسلم من أمرها وكفاح
 وأرى أوجه الليالي التي مر
 ت سراعاً بنا كمر الرياح
 وأرى عيشى الذى قد تقضى
 فى صلاح أو غية وجمّاح
 وأرى وجه من عرفت ومن ما
 توا وواراهم أديم البطّاح
 فعرانى القنوط من صولة الموت
 وما لاح فى رباه الفسّاح
 وابتغيت الطريق أرجع للحـ
 س فاشفى به أوار التياحى
 غير أنى أضلّته ومضى بى الخـ
 سطو حتى أنكرت وجه رواحى

خطوة اثر خطوة فيه حتى
قد هداني خطوى لنهج النجاح
خذ بقولى ولا تضل عن الحق
سس فيارب نعمة فى انتصاح
انما الفكر خطوة تنقل المرء
فحاذر اضلال وجه المراح

الغابة

قد حكيت الآباد كالبحر والصـ
حراء من طول أرضك الشجراء
وحجبت الأفق البعيد عن الطرف
فأنسيت منتهى الأشياء
فكأن لا مدى لدوحك يرجى
حين تدحى مطارح الغبراء
ورياح تشدو على ورق الدو
ح بالحن شدة أو رخاء
منطق لم يدع لنفس شجونا
لا يحاكى صفاتها في الخناء
ثم تبدو الفصون في هدأة الريـ
ح كنائى معلق بالهواء
وكانى أصغى الى غابر الد
هر وما كان فينه من أرزاء
وكان المساء ظلل دوحا
يتسامى ولات حين مساء

وكان الظلام دس كميناً
 رابضاً في أجالك الدكناء
 خطرت في ظلام دوحك أروا
 ح وناجت مسامح القدماء
 لبث القوم فيك دهرنا فناجا
 هم سرار الفنون بالأيطاء
 عمدا شيدوا وسقفا لبهو
 واستمدوا من غابة وسماء
 حين شادوا للدين بيعة إيمان
 تبست كالغابة اللغاء
 صرت ملهى وكنت غيلا مخوفا
 وملاذ اللصوص والطرءاء
 وارتضيت الأمان من بعد ذعر
 لم يزل في المدينة السماء
 غابة شادها ابن آدم نزلا
 دوحها من قصورها الزهراء
 وبمسا عرشت وضاقت فلا شمس
 س لديها ولا مراح الهواء
 ومخوف من الفجأة فيها
 كمخوف في الغابة القماء
 كم وحيد لا يعرف الأنس فيها
 أصبحت نفسه ككفر خلا

ضايق ذرعا بنفسه فغيدا ينشـ
 يد طيفا في معرض الأحياء
 عذبتـه لواعج الشمس حتى
 أخذته لواعج الظلماء
 وأقاع في دورها وقـرود
 ووجوش من ناسها بالعرء
 وغريب ومعلم وطريد
 قبل عداه حتى خداع الرجاء
 فكان الاقوام لم يخرجوا منك
 ولا زال عهدك المتناهي
 منة قد سننتها في نفوس
 ان دعيتها كاثت جواب النداء

فهرس

الموضوع	الصفحة
الاهداء	٣
مقدمة	٥
قضية هذا الشاعر	٧
ديوان ضسخم	١٥
القصائد المختارة	٥١
دراسة فى المختارات	٥٥
عبد الرحمن شكرى .. حياته فى سطور	٩٢
قصائد مختارة	٩٧
غلام مريض يكلم أمه	٩٩
عيون الندى	١٠١
الى المجهول	١٠٢
خطوة عن عالم الحس	١٠٥
الغابة	١٠٨

الطبعة الثقافية

رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٤ / ١٩٧٠

وزارة الثقافة
الهيئة العامة للتأليف والنشر

المركز الرئيسي ١١١٧ شارع كورنيش النيل - القاهرة - ج.ع.م.
تليفون : ٧١٠٥٥ / ٧١٠٥٨ تليفاكس : يانشر

الادارة العامة للتوزيع : ١٧ شارع قصر النيل - القاهرة - ج.ع.م.
تليفون : ٤٧٤٣٦ / ٤٥٥٨٩

مكتبات القومية للتوزيع في ج.ع.م.

السفارة

٣٦ شارع شريف ت : ٤١١٣٧ ١٩ شارع ٢٦ بوليفيا ت : ٥٥٠٣٧
٥ ميدان مرقى ت : ٤٦٢٨٣ ٢٢ شارع الجمهورية ت : ١١٤٢٣٣
١٣ شارع الميدان ت : ٢١١٨٧ الباب الأخضر بالحسين ت : ٩١٣٤١٧

الاسكندرية : ٤٩ شارع سندز غزل ٢٢٩٢٥ البجيزة : ١ ميدان البجيزة ت : ٨٩٨٣١١
دمشق : شارع عبدالسلام الفاضل ٢٦٠٥ القنصا : شارع ابن عاصم ت : ٤٤٠٤١
طاب : ميدان الساعة ٢٥٩١ أميوط : شارع الجمهورية ت : ٢٠٣٢٢
العلقة الكبرى : ميدان المسطة ٤٢٧٧ اسوان : السوق السباحي ت : ٢٩٣١١
المنصورة : أول شارع الثورة ٢٨٦٤

مراكز التوزيع خارج ج.ع.م.

لبنان : الشركة القومية للتوزيع - بيروت - شارع سوريا بناية أبناء صدى وصالحه
العراق : الشركة القومية للتوزيع - بغداد - ميدان التحرير - عمارة فاطمة

لوكسمبورج : شارع دالين خارج ج.ع.م.

الكويت : وكالة المطبوعات ٢٧ شارع لهد سالم بالكويت

الأردن : مكتبة الحبيب - عمان

ليبيا : محمود طارف الشويدي - طرابلس

الموليسيا : عبد الله محمد البندوس - جاكرتا

تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - تونس

الجزائر : ٩٢ شارع ديدوش مراد بالجزائر العاصمة

المغرب : المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ١٢ - ٤٤ الشارع الكلي - الاحباس

الدار البيضاء

هولندا : مكتبة بريل - لندن

المكتبة العامة للتأليف والنشر
في خدمة الثقافة العربية



د. أنس داود

- دكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى في النقد الأدبي . من جامعة القاهرة .
- شارك بقصائده ودراساته في كثير من المجلات الأدبية في العالم العربي .
- صدر له ديوانان من الشعر :
- حببتي والمدينة الحزينة ١٩٦٤
- بقايا غير ١٩٦٦
- ودراسات :
- الطبيعة في شعر المهجر ١٩٦٥
- التجديد في شعر المهجر ١٩٦٧
- سيصدر له قريباً ديوانه الثالث
- عندما يورق الشجر

Alexandria



0241604

يصدر قريباً

الأغنية الشاعرية

المكتبة الثقافية

(جامعة حرة)

● خلاصة الفكر القومي والإنساني

● تجعل المعرفة متعة نفس الشعر

بالحياة ، رسلاً بأساعد على

الإنتماء في معركة الحياة

يسرن على السلسلة

الدكتور شكري محمد عياد

715

29

70

أول ديسمبر ١٩٧٠

الثنى ٥ قروش